الباب الرابع

ثمرات إخلاص العبودية للّه وآثارها في الدنيا والآخرة

وتحته فصلان:

الفصل الأول

ثمرات إخلاص العبودية للّه في الدنيا

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: ثمرات إخلاص العبودية للّه في الدنيا.

المبحث الثاني: ثمرات إخلاص العبودية للّه في الآخرة.

المبحث الأول

ثمرات إخلاص العبودية لله في الدنيا

من ثمرات الإخلاص ما يلي:

١/ حصول الرأفة والرحمة والرضوان من الله تعالى لعبده المخلص، قال تعالى: šÆ Ïr â

á [1].

أرشدت هذه الآية إلى أن كل من باع نفسه ابتغاء رضاء الله بحيث يجاهد في سبيل الله، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو يعمل أعمالاً صالحة جليلة بصدق وإخلاص بحيث يقدم طاعة الله على ملذات النفس والهوى، فإن الله تعالى يجازيه أوفر الجزاء وأعظمه ويعمه بسابغ رحمته ورضوانه.

قيل في سبب نزول هذه الآية أقوال أذكر الأقرب والأنسب أنها نزلت في صهيب* بن سنان الروحي – رضي الله عنه - أراده المشركون على ترك الإسلام، وقتلوا نفراً كانوا معه فقال: لهم أنا شيخ كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، فخلوني وما أنا عليه، وخذوا مالي، فقبلوا منه ماله، وأتى المدينة فنزلت الآية[2].

قال ابن جرير – رحمه الله – : (أما ما روي من نزول الآية في أمر صهيب فإن ذلك غير مستنكر، إذا كان غير مدفوع جواز نزول آية من عند الله على رسوله r بسبب من الأسباب والمعني بها كل من شمله ظاهرها)[3].

٢/ ثناء الله على عباده المخلصين في مواضع كثيرة من كتابه الكريم تشير في ثناياها أن من لم يخلص عمله لله فهو باطل تمام البطلان، وصاحبه خاسر تمام الخسران قال تعالى:

«Ï ŠŠ$6ã ŸvÎ ÇÐÌÈ ûïÍ ‹ ZÛ Èe7Ébã b‰. # øŸ2 ö RS$ù ÇÐÈ ` ƒÍ ÉYB NÍÌ $Z ™ö) 9r â

á [4].

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(*) صهيب بن سنان بن مالك أبو يحيى الرومي، أصله من النمر، يقال كان اسمه عبد الملك وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ٣٨هـ في خلافة علي بن أبي طالب – t - ترجمة الإصابة ١٨٨/٢.

(٢) انظر: جامع البيان (٣٣٣/٢ – ٣٣٥) الكشاف: ١٢٤.

(٣) جامع البيان (٣٣٤/٢) .

(٤) سورة الصافات: ٧٢، ٧٤.

فبعد إخبار الله عن هلاك من هلك من الأمم الماضية ممن جعل مع الله غيره، وذكر أنه أرسل فيهم رسلاً ينذرونهم بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته، بسبب عبوديتهم لغير الله، ثم استثنى الطائفة المؤمنة المخلصة لله في عبوديتها له تبارك وتعالى[١].

وقال سبحانه: ÇîÈ brçÖóx3 Nèdöx6ÏmJïãr9) $Y¡Sp¨Yèd$Ûr ¼çZ/ (qè_râ

ÇîÈ bqçÄf$#å«!$`»s9 ÇîÈ ûüÅ-ÒO$2«!$$Š$7ãx vî[٢] قال مجاهد: – رحمه الله – قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى، فقال أبو بكر – رضي الله عنه – فمن أمهاتهن، قالوا بنات سروات الجن، وقوله نسباً أي أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله، (brçÖóx3 Nèdöx6ÏmJïãr9) يعني قائلي هذا القول (Nèdöx6ÏmJïãr9) في النار، ثم قال (`»s9 $!«å$#fÄüqçb) نزه نفسه عما لا يليق بها من جعلهم لله البنات من الملائكة.

ثم استثنى عباده المخلصين الذين لا يحضرون لعذابه تعالى في يوم القيامة، بل إنهم مستحقون رضوان الله ومغفرته، بسبب إخلاصهم لعبودية خالقهم[٣].

٣/ أن الله تبارك وتعالى أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، ولا يظلم أحداً من عباده كائنا من كان، فمن أخلص في عبودية لربه فقد استحق الثواب منه تبارك وتعالى، ومن أشرك معه غيره و لم يخلص في عبوديته استحق عقابه الأليم، ولقد أخبر الله في كتابه عن عدله، وعدم ظلمه لعباده، وأن ما حصل للكافرين من عقاب فبما قدمته أيديهم. قال تعالى: âá ÇÑÈ ‰<îèj Ðx àÎ § ø ©$b&r Na fÿ‰f MBŒ‰ $JÎ 7ÿ°Œâ[٤].

وقال: âá Š$7ëj $VèB ‰fìãª $$Br[٥].

وقال: âá ‰<îèj Ð»=àÎ 7‘ $Br[٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٧/٤) بتصرف.

(٢) سورة الصافات: ١٥٨، ١٦٠.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤٥/٤)، تفسير ابن كثير (٣١/٤) .

(٤) سورة آل عمران: ١٨٢، الأنفال ٥١، الحج ١٠.

(٥) سورة غافر: ٣١.

(٦) سورة فصلت: ٤٦.

وقال أيضاً: [1].

٤/ من محبة الله لعباده المؤمنين مناداته لأهل الإيمان بلفظ العبودية وأمرهم بالتزام التقوى في جميع أحوالهم، قال سبحانه: [2].

قال الألوسي في تفسير هذه الآية: "اتقوا ربكم فإن للمحسنين في هذه الدنيا الجنة في الأخرى، ولا عذر للمفرطين في الإحسان بعدم التمكن في الأوطان، فإن أرض الله تعالى واسعة، وبلاده كثيرة، فليتحولوا إن لم يتمكنوا عنها وليهاجروا إلى ربهم لنيل الرضوان، فإن لهم في جنب ذلك ما يتقاصر عنه الجنة ويستلذله كل محنة[3].

وبعد ذلك ختم الآية بجزاء لا يُعد بعد ولا يُحد بحد، إنه جزاء عظيم لأهل عبوديته، لأنهم قدموا محاب الله على محاب أنفسهم، فصبروا على الهجرة وفراق الأحباب والاقتداء بالأبناء والصالحين ولهذا قال: [4].

فتقوى الله تعالى من أعظم ثمرات إخلاص العبودية لله، وكثيراً ما يرد لفظ التقوى في القرآن آمراً به المؤمنين والكفار فهذه الآية خاطبت المؤمنين وحثتهم على التزام تقوى الله؛ لأنها سر فلاحهم ونجاحهم في الدارين ، وأما قوله سبحانه:

[4] فالمشركون والكفار ناداهم الله بلفظ العبودية على سبيل التهديد والوعيد، حاثاً لهم على سلوك الصراط المستقيم والبعد عن طريق الجحيم.

---

(١) سورة ق: ٢٩.

(٢) سورة الزمر: ١٠.

(٣) روح المعاني (٣٤٥/١٢).

(٤) سورة الزمر : ١٥ ، ١٦ .

٥/ حصول البشرى من الله لأهل عبوديته الخاصة، للذين اجتنبوا عبادة الطـــاغوت – أي الأصنام – وصرفوا سائر عباداتهم لله وحده لا شريك له.

قال تعالى: [illegible]
[illegible]
[illegible].(١)

قال ابن عاشور – رحمه الله - : "عدل عن الإتيان بضميرهم بأن يقال (فبـــشرهم) إلى الإظهار باسم (العباد) مضاف إلى ضمير (الله) تعالى وبالصلة لزيادة مـــدهم بـــصفتين أخريين وهما: صفة العبودية لله، أي عبودية التقرب، وصفة استماع القـــول واتبـــاع أحسنه" (٢).

٦/ حفظ عبده المؤمن من غواية الشيطان وعصمته منه، قال تعالى حكاية عن إبليس: [illegible]
[illegible].(٣)

وقال سبحانه: [illegible]
[illegible]
[illegible].(٤)

الغواية بمعنى الضلال، فالله سبحانه وتعالى وضع سنة في نفوس البـــشر أن الـــشيطان لا يتسلط إلا على من كان غاويا، أي مائلاً للغواية مكتسباً لها دون من كبح نفسه عـــن الشر(٥).

إلا عبادك منهم المخلصين، أي عباده المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعـــة والتوحيـــد فهؤلاء هم من بعدت عنهم الغواية، ولهذا قال في خطابه سبحانه لإبلـــيس في ســـورة

(١) سورة الزمر: ١٧، ١٨.
(٢) التحرير والتنوير (٥٢/٦).
(٣) سورة ص : ٨٢، ٨٣ .
(٤) سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٢ .
(٥) التحرير والتنوير (٦ / ٥٢) .

الإسراء: ﴿ ... ﴾[1] والمقصود عباده الذين تمحضوا لعبودية الله تعالى، فيفهم من هذا أن من عبدوا الأصنام والجن، وأعرضوا عن عبودية الله تعالى، ليسوا من أولئك[2].

٧/ أن من أخلص عبوديته لله صار من جند الله الغالبين المنصورين، قال سبحانه في سورة الصافات: ﴿ ... ﴾[3].

فقوله "جندنا" بشارة للمؤمنين فإنهم جند الله؛ لأنهم نصروا دينه، وصدقوا ما جاء به الرسل، وقاموا بحث العباد على التزام الحق، واتباع الرسل، وبهذا صاروا هم الغالبون في مقام الحجاج، وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة[4].

٨/ استجابة الله لدعاء عبده المخلص، قال تعالى: ﴿ ... ﴾[5].

هذا إخبار من الله سبحانه عن قربه من عباده، القرب اللائق بجلاله الذي وردت النصوص بإثباته وهو نوعان:

الأول: القرب من جميع خلقه بعلمه المحيط بهم، ورقابته على جميع أحوالهم.

الثاني: قربه من عابديه وداعيه بالمعونة والتوفيق والإجابة[6]، كما ورد في الحديث القدسي الصحيح. (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) [7].

---

(١) آية: ٦٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٥٦/٦) بتصرف.

(٣) آية ١٧١، ١٧٣ .

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٩٥/٩) تفسير النسفي: ١٠١٢.

(٥) سورة البقرة : ١٨٦ .

(٦) انظر صفوة المفاهيم من الآثار(١٤٧/١ – ١٤٨) بتصرف يسير .

(٧) أخرجه البخاري (٢٣٨٥/٥) برقم (٦١٣٧) .

ومعنى (الدعاء) : مسألة العبد ربه ما وعد عباده وأولياءه الذين لازموا طاعته ومعنى (’í‰qç×ÉGóŠüù) الإجابة هنا وفاء الله بما وعد به أهل العبودية الخاصة، جزاء لهم على إخلاصهم(١).

٩/ قبول توبة المذنبين من عباده المخلصين، ومغفرته عز شأنه لخطاياهم وزلاتهم، قال سبحانه: @Ïšzc &r ÏM»%‰ÁŸ$šäqèÙr ¾íÍš$7ïã ôã p/ùÇ9$$ãÖ7ùƒ qèÏ @Ïšb& ‰pÃèƒ ÖŸ9& â :

. (٢)á ÇÍÈ ÐŠÏms9$$ÙŸ#ÇÇ9$$qèÏ

أي: ألم يعلم المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقو أنفسهم بالسواري، القائلون (لا نُطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله r هو الذي يطلقنا) السائلوا رسول الله r أخذ صدقه أموالهم أن ذلك ليس للنبي r إنما ذلك لله فهو الذي يقبل توبة التائبين، ويعفو عن المسيئين ويقبل صدقة المتصدقين، فيخلصوا في توجيه توبتهم إلى الله لا إلى نبي ولا ملك(٣).

كما قال سبحانه وتعالى: qèÏ ’Î#‹ã Ïb&r ÇÍÈ ÐŠÏms9$$âqÙóÇ$$R& þÎû ÚŸ Ïš6ã ÆÉêâ :

.(٤)á ÇÎÈ ÐŠÏmŠ$$ÙŸ#‹èÇ$$

وقال: ãÏÝƒ @Ïšbî «!$$Ïp¨Ÿ§ `Ï ‰qÈÏZÝ? Ÿw ÚÎgŠÅÁãR& #?ã ‰qèŽó& ûïÏ%©$$ “ Ïš7è»ƒ @Ïè â :

.(٥)á ¼ç9 ‰qÎ7Ï%Ÿ2 ÚÎãr ÚÎãÏ 4‹Î ‰bÎ*Ïr ÇÍÈ ãÏms9$$âqÙóÇ$$qèÏ ¼çRî $è‹Ïd >qè%!$$

هذه الآية تحمل البشارة العظيمة لكل من أذنب ذنوباً، ثم أقبل على خالقه بالتوبة والندم على ما صدر منه، ومما يزيد بشارة المذنبين أنه سبحانه تلطف معهم في العبارة حيث أضافهم إليه تعالى فقال: (@Ïè “ Ïš7è»ƒ) لغرض تشريفهم وتبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ثم أعقبه بالنهي عن القنوط من رحمة الله،

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٦٧/٢) .

(٢) سورة التوبة: ١٠٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٤٦٥/٦) بتصرف.

(٤) سورة الحجر: ٤٩.

(٥) سورة الزمر: ٥٣.

ثم جاء بما لا يبقى بعده شك، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن[1] فقال (ëÏÝÍf ®$bî) الذنوب (ال) هنا للاستغراق، فالله سبحانه يغفر كل الذنوب صغيرها وكبيرها، دقها وجلها علانيتها وسرها، ثم أكدها بلفظة (جميعا)؛ لأن التوبة تجب ما قبلها، حقا إنها بشارة عظيمة تدل على محبة الله لعبده التوّاب المنيب الرجَّاع إليه عند حلول الذنب، ثم ختم الآية بقوله (ãïmS$âqãó¼$qè¼çRî).

كما قال سبحانه في موضع آخر: á öîïæB4?ã Ä $Z-ï ç•ÿóB rä! 7/‘ bîrâ[2] وقال أيضاً: á šc qèÿ? $B ã-èfr ÏN$«íi 9$Çã {qãèfr ¾íŠ$7ëã ôã p/ç9$@7ÿf “ Ï‰$qèr â[3].

١٠/ هداية الله لعباده المؤمنين وثباتهم على الحق، كما قال عز من قائل: «! $ “ ‰è 7ÏºE â á ÇÌÈ bqèJèf {qç. $B OßZã Ýîs9 {qäžõ« çr ¾íŠ$6ëã ôÏ âß±„ `B ¾ïÎ “ Ï‰ô[4]

سيقت هذه الآية بعد الحديث عن تعداد بعض الأنبياء، وذكر ما امتازوا به من صلاح وهداية، وأن ما نالهم من هدى وفضل هو من الله؛ بسبب إخلاصهم في عبودية خالقهم، كما أن من سار على منهاجهم، واقتفى أثرهم في الثبات على التوحيد، والتزام سلوك الصراط المستقيم وأخلص لله أعماله بنية صافية من شوائب الشرك، فقد هداه الله ولهذا جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: á ïÏ‰Fßâ1‰ßî ù ª! $ “ ‰d ûïÏ‰$â والخطاب للنبي محمد r فالأمر له بالاقتداء والتأسي بمن قبله من الأنبياء أمر لجميع الأمة المحمدية.

من ثمراتها أيضاً أن العبد كلما ازداد معرفة بالله كلما زادت الخشية في قلبه وهذا حاصل لأهل العلم والمعرفة بالله تعالى، قال تعالى: á ßŠ¬J-èøíŠ$6ëã ôÏB @$Ó´ ør $JRî â[5] قال ابن عباس — رضي الله عنهما — يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي

---

(١) انظر: فتح القدير(٤/٤٧٠) بتصرف.

(٢) سورة الرعد: ٦.

(٣) سورة الشورى: ٢٥.

(٤) سورة الأنعام: ٨٨.

(٥) سورة فاطر: ٢٨.

وسلطاني[1] والمعنى: إنما يخشى تعالى بالغيب العالمون به عز وجل، وبما يليق من صفاته الجليلة، وأفعاله الجميلة، لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه، فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى له عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام (أنا أخشاكم لله وأتقاكم له)[2].

١١/ لطف الله بعباده وخاصة أهل عبوديته قال تعالى: â$±„ ` B äãöï ¾íŠ$7ê7 #‹Ü9ª $â

á ÇÈ âfíè$Ž" è)$qèr[3] أي أن الله بر بليغ البر يفيض عليهم من لطفه ورزقه، بحسب مشيئته، وهو سبحانه قوي قادر على أن يختص برحمته وكرامته من يشاء من عباده، عزيز غالب لا يمنعه سبحانه عما يريده أحد[4].

فهو سبحانه ذو لطف بعباده مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، يكفر به الكافرون، ويعصيه العاصون وهو يطعمهم ويسقيهم ويعفو عنهم ولا يهلكهم بذنوبهم فهذا من دلائل لطفه بهم[5].

١٢/ إيمان عباده المخلصين بأن هذا القرآن روح للقلوب تحيا به كما تحيا الأجسام بالأرواح، ونور يستنير به أهل عبوديته؛ ليرشدهم للطريق السليم قال تعالى: $Zøm÷& 7Ï°‹.r â

“ Ï‰ö#YqçqYè_ `Å»9r ß»Jƒ/M$Ïr Ü»GÅ$B “ íö? MZä$B $R/ö& ôÏ [nrâ 7øÎ

á ÇÎÈ Ö$ÉóÞ Þ°ŽÅ 4‹Ï ü Ï‰ö9 7 ÑÎr $RŠ$6ä ôÏ â$±®` B ¾ïÎ.

---

(١) تفسير البغوي (٣/٥٦٩).

(٢) سبق تخريجه في عبودية النبي e ٢٩٠.

(٣) سورة الشورى: ١٩.

(٤) تفسير أبي السعود (٥/٢٨١).

(٥) أيسر التفاسير للجزائري ٤/٦٠٥ أضواء المنار، دار صداء المجتمع، ط٢، ١٤١٩هـ.

أي جعلنا القرآن نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا إلى الإيمان وتوحيدنا، وطلب مرضاتنا بفعل محابنا وترك مساخطنا[١].

وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [٢].

﴿ ... ﴾ تثبيت من الله تعالى لأمر نبيه، وبيان لمنزلة القرآن، ومهمته بين الكتب السماوية، فالذي أوحينا إليك أيها النبي وهو القرآن المجيد، هو الحق الثابت الدائم المنزل إليك، مصدقا ومؤيدا لما تقدمه، أو لما بين يديه من الكتب السابقة، وهما التوراة والإنجيل إن الله محيط علمه بأمور عباده، بصير مطلع على أحوالهم، وهذا وعيد لمن أعرض عن القرآن وهجره إلى غيره[٣].

ولهذا لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا، وأحسنهم أفكارا وأرقهم قلوباً وأزكاهم أنفسا، اصطفاهم الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب[٤]، ولهذا قال: ﴿ ... ﴾ ثم ذكر مراتب الناس.

فأولها: درجة الظالم لنفسه: هو من قصر في العمل بهذا القرآن، وأكثر من الذنوب والمعاصي التي هي دون الكفر.

الثاني: المقتصد: من قام بالواجبات وترك المحرمات، ولكنه غير مبالغ في طاعة الله، ولا مجتهد فيها بل عمله في ذلك قصداً.

---

(١) أيسر التفاسير (٤/٦٢٥).

(٢) سورة فاطر: ٣١ – ٣٢.

(٣) التفسير الوسيط (٣/٢١٣٥).

(٤) تفسير السعدي: ٦٨٩.

السابق: المبرز الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه[١].

فكل هذه الفئات هم أهل العبودية، ولكن درجاتهم تجاه عبودية الله والإيمان بهذا القرآن تختلف، بحسب إخلاصهم وتوحيدهم لربهم وثباتهم على الحق، وبعدهم عن الآثام والذنوب وأفضلهم وأعلاهم رتبة عند مليكهم وخالقهم هم السابقون بالخيرات.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : في الإيمان: "هو مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد، وسابق ... فمن أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل، ومنه ما نقص عن الكمال، وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات ومنه ما نقص ركنه وهو ترك الاعتقاد والقول"[٢].

١٣/ علم الله بأحوال عباده المخلصين، وسلامة مقصدهم، وحسن سريرتهم تجاه عبوديته، وكذلك علم العبد المؤمن علماً يقينياً بأن الله خبير بصير بحاله يطلعه عليه في كل حال، فيزداد عبودية لربه وتقوى له. لقوله سبحانه: ¼çR)â á Š$7ëØ7•Ã/ª$â[٣] . وقوله: ¼çR)â á #ŽŽÃ/#Ì z ¾íŠ$6ëî b¼. [٤] .

فالله عالم بأحوال العباد عامة ، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم كما أنه يعلم من صلحت سريرته، ومن فسدت نيته، ولكن أهل عبوديته الخاصة هم الذين أدركوا هذا الأمر، فدفعهم للجد والاجتهاد في طاعة الله، والتزود للآخرة.

١٤/ من الثمرات أيضاً إعانة الله لأهل عبوديته بالتزود بالأعمال الصالحة والمداومة عليها والقيام بها وفق ما شرعه الله، قال سبحانه: o4=Á9$(qŠÉ#(qŽB#ä ûïÏ%$ “ Š$7ëÏ @èâ [٥] á ÇÌÈ@»=Å ÏÏr ï<ï ÓÏ ÏÏv Ïo/ ’îÍ b¼è6 `Ï Ž<ÏÏX ãr #vÅ ÏÏŠ»Ž-’ $ÆÏ (qàÏŽã

(١) انظر: تفسير ابن جرير(١٠/٤١٥) .
(٢) مجموع الفتاوى (٦٣٧/٧) .
(٣) سورة آل عمران: ١٥ - ٢٠.
(٤) سورة الإسراء: ٣٠، ٩٦.
(٥) سورة إبراهيم ٣١ .

فمن أبرز أعمالهم بعد الشهادتين إقام الصلاة التي هي عمود الدين بأساسه، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ومن قام بها كان فيه خيراً كثيراً، وإقام الصلاة الإتيان بواجباتها ومسنوناتها وأداؤها على أكمل وجه.

á ÞZ<ÏŸX ãr #vÅ NG»Z‰–‘ $ÆB ¶qàŸZÞr â وهذا يشمل النفقة الواجبة: كالزكاة ونفقة من تجب عليه نفقته، والمستحبة: كالصدقات ونحوها(١).

á Ô@»-Å ŸvrÏ‹Ï ÓŠŸvÞqƒ 'ÎÙƒ b&È@6% `Ê â فأهل عبودية الله يقدمون لأنفسهم اليوم ويتفقدون أعمالهم، ويحاسبون أنفسهم قبل الحساب الأكبر(٢).

قال تعالى: pŸ f ØÐG9 c 'Î Nt;°qÞr ÓG¡ ÞR& šú ÜÏÊs3ØŠÆ Ê 3 ŽIÓ$Ó$bÎ â

È‹ÅVŸ Þ1‘Ó9$ † Î $ym ïøã #‰ãr šc qè ÞÞr bqè Ùš‹ $È‹Î™ 'Î šc qè»)ã

š• Ó°Er ¾ïÎ Lèƒ$/ " Ÿ Ø ÞÞaèÎ (rÅ6ÓŸ Ù‹ $ŠÆ Ê ¾íŸ‰ÔèÎ 4† ûŕ& ÔBr É#äÓØÞ

šc qÍ¯¡9$šc rÜ»tØ$šc rÎ»èØ$šc qÇF9$Ç È Ð$Èè Ø ãÓŸØ$qè

ì 6 Y3Ø$Çã šc qè$Y9$r Ås rèJØÎ brÊF$šc rÉ¡9$šc qãÅ2 °S$

á Ç È šú ÜÏÊs3Ø$ÎÅ0r ‹ $šrÜÇ bqšŸ»s Ø$.(٣)

اشترى الله من عباده المؤمنين بذل أنفسهم وأموالهم؛ لجهاد الأعداء وإعلاء كلمته، وإظهار دينه، فمن العبد تسليم نفسه وماله لخالقه ومن الله الثواب والجزاء وهو الجنة التي لا تقاس بثمن ولا يدانيها عوض(٤).

قال عبد الله بن رواحه لرسول الله r : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ! قال: "أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا ؟ قال: (الجنة) قالوا ربح البيع، لا

---

(١) السعدي: ٤٢٦.

(٢) انظر المصدر السابق نفس الصفحة بتصرف.

(٣) سورة التوبة : ١١١ – ١١٢ .

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٦٧/٤) تفسير السعدي: ٣٥٣.

نقيل ولا نستقيل[1] ! فنزلت: â ÎÞ$ÐÐ3 Ë ÆŠ$Ð$ÐsÏÏ¿ ù Ëï¿ á.

ثم ذكر الله صفات عباده الذين أخلصوا لله في عبوديتهم، وما فعلوه في الدنيا من أعمال أوصلتهم لهذه المنزلة العظيمة فمن أبرز أعمالهم الصالحة:

١/ â $ÂF¯Ñ»ïq c á التائب هو: الراجع إلى الطاعة فهم رجعوا عن معاصيهم وآثامهم إلى ما يحبه الله من الطاعات ويرضاها[2].

٢/ â $Ñèï»Ñr c á الذين عبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة، فصار وصفهم بالعبودية وصفاً ملازماً لهم لاستمرارهم عليها في السراء والضراء[3].

٣/ â $Ñtø»Ñr c á: الحامدون الله في السراء والضراء، بل في كل حال[4].

٤/ â $Ñ9ïì»Ñr c á الصائمون، وقيل طلبة العلم والحديث يسيحون في الأرض لطلبه من أهله، وقيل هم المجاهدون في سبيل الله، وقيل هم الجائلون بأفكارهم في توحيد ربهم وملكوته وما خلق من العبر[5]

والذي تطمئن إليه النفس أن المراد به الصيام كما وردت بذلك الأحاديث النبوية ، منها عن عبيد بن عمير t قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم –عن (السائحين) فقال:

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/٣٦٤) بلفظ ذكر لنا أن رجلا قال : يانبي الله ، وذكره .

وفي فتح الباري (٦/٤) قال الحافظ : عند أحمد عن جابر ن وعند الحاكم في الإكليل عن كعب بن مالك وفي مرسل محمد بن كعب القرظي قال عبد الله بن رواحة فذكره . **وابن رواحة** هو: وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر أحد السابقين ، شهد بدرا واستشهد بمؤتة ، وكان ثالث الأمراء بها في اجمادري الأولى ، سنة ثمان . ترجمته في التقريب ص (٣٠٣) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦/٤٨٣) انظر: تفسير القرطبي (٤/٢٦٩) .

(٣) تفسير ابن جرير (٦/٤٨٣) الكشاف: ٤٥١، السعدي ٣٠٣.

(٤) انظر: فتح القدير (٢/٤٠٨) .

(٥) انظر: تفسير ابن جرير (٦/٤٨٥) تفسير ابن كثير (٢/٥١٣) فتح القدير (٢/٤٠٨) .

"هم الصائمون "[1].

٥/ â $9Y¹ qèÅ2 ¤ƒ$ šc á المكثرون لأداء الصلوات المفروضة والنافلة، وهـــذه ميزة تميز فيها العابدون لله بخشوعهم وطمأنينتهم في صلواتهم المكثرون من فعلها.

٦/ â $9Y¹ qèÇã šc á 6 ¹ÝÛ.

â $9Y¹ qèÇã šc á 6 ¹ÝÛ: القائمون بما أمر الله به العباد من معروف جاء بـــه الـــشرع كالإيمان والطاعة والمعرفة.

â $9Y¹ qèÇã šc á 6 ¹ÝÛ: كل ما أنكره الشارع من الشرك والمعاصي[2].

٧/ â $9Y¹ qèÇã šc á 6 ¹ÝÛ أي فيما بيَّنه وعيَّنه من الحقائق والشرائع عَملاً وحمْلاً للناس عليه[3].

ثم ختم الله الآية بالبشارة للمؤمنين إن هم اتصفوا بهذه الصفات، فسينالو الجزاء الحسن من الله تعالى، كما صورت سورة الفرقان صفات عباد الرحمن الـــذين جمعـــوا أسمـــى الصفات وأعلى الخصال التي تزودوا بها في دنياهم فكانت سعادة أبدية لهم في أخراهم.

قال سبحانه: â $9Y¹ qèÏ“ _è ¹ÝÛ$ ‘ä ÅZÏ ôJ& Š#‘& ƒb ¤•ž2 ¤& Š#‘& ¤&

â $9Y¹ qèÇã šc á 6 ¹ÝÛ{ ¤& ’?ã bqàÐƒ šú ïÏ%©! Ç»¤qÈ$ Ï$ Ï7ãr ÇïÈ ¤Yqà6 ¤&

---

(١) أخرجه ابن معين في جزء من حديثه (٢٣٤) مكتبة الرشد ط ١ – ١٩٩٨م تحقيق خالد السيف عن ابن عيينة عن عمرو عن عبيد بن عمير ، وهذا سند مرسل رجاله ثقات .

واخرجه بن جرير الطبري في تفسيرة (٥٠٢/١٤) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمرو .. بهـــذا قلت : وقد رواه عن ابن عيينة حامد بن يحيى البلخي فجعله عن عبيد بن عمير عن أبي هريرة عن النبي صـــلى الله عليه وسلم أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٦/٨) قال البيهقي : هكذا روي بهذا الإسناد موصولا والمحفـــوظ عن ابن عيينة عن عمر وعن عبيد بن عمير عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا .

وأخرجه مسدّد في مسنده كما في المطالب العالية للحافظ ابن حجر (٣٠٦/١٠) .

هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي ، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله مسلم وعـــدّه غيره في كبار التابعين وكان قاص أهل مكة ، مجمع على ثقته ، مات قبل بن عمر . التقريب (٣٧٧) .

(٢) تفسير النسفي: ٤٥٧ فتح القدير (٤٠٨/٢) .

(٣)تفسير أبي السعود (١٩٧/٣) روح المعاني (٦ / ٢٦٧) .

. (١) á ÇÐÏÈ $ÐY$)Ðar

(١) سورة الفرقان : ٦٢ – ٧٦ .

المبحث الثاني

ثمرات إخلاص العبودية

للّه في الآخرة

تمهيـــد

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وجزء من أجزاء العقيدة، بل هـــو العنصر الهام الذي يلي الإيمان بالله مباشرة؛ لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجـــود، وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف ويبلغ به الغاية(١).

وإن قضية البعث والحساب والجزاء في الآخرة، من قضايا العقيدة الأساسية التي جاء بها الإسلام، والتي يقوم عليها بناء هذه العقيدة بعد وحدانية الله والذي لا يقوم هذا الـــدين عقيدة وتصوراً وخلقا وسلوكا وتربية نظاما إلا عليها وبها .

فمعنى الإيمان باليوم الآخر هو التصديق بكل ما أخبر به الله عز وجـــل في كتابـــه، وأخبر به رسوله r ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه والبعث، والحـــشر، والصحف والحساب والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة والجنة، والنار، وما أعده الله تعالى لأهلها جميعا(٢).

ومن استقرأ القرآن الكريم وجد تلك العناية الفائقة بتقرير الإيمان بهذا اليوم ومن مظاهر هذا الإهتمام باليوم الآخر ما يلي:

١/ ربطه بالإيمان بالله يقول تعالى: á ìÅ Ï ¥ ¤ Ö Ü ¬ ® « ¸ ¶ ` B # ä ô B ¾ ¿ Æ £ Å » 9 r â (٣) ويقـــول الرسول r حينما سأله جبريل عن الإيمان: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبـــه ورســـله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) (٤).

٢/ يكثر القرآن من ذكره فلا تكاد تخلو سورة من الحديث عنه مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان وتارة بضرب المثل(٥).

---

(١) العقائد الإسلامية، السيد سابق٢٥٩ دار الكتاب العربي بيروت ، انظر: القيامة الصغرى: ١١٣.

(٢) الإيمان أركانه ـــ حقيقته ـــ نواقضه محمد نعيم ياسين ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـــ ص٧٣ ، جمعيـــة أعمـــال المطـــابع التعاونية ، عمان .

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

(٤) أخرجه مسلم (١/١) رقم (٨) .

(٥) العقائد الإسلامية ٢٦٠ ، ٢٦١ بتصرف.

قال تعالى: ﴿ ... ﴾

﴿ ... ﴾ [1].

وقال: ﴿ ... ﴾ [2].

حيث جاءت هنا مؤكدة بإن كي يؤكد وقوعها في نفوس العباد[3]. وقال سبحانه: ﴿ ... ﴾ [4]. جاءت هنا لنفي الريب والشك عن وقوعها[5].

٣/ أن المتتبع لآيات القرآن يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة وكل اسم منها يدل على معنى ما يحدث فيه من أهوال وفي هذا اليوم.

فسماه الله يوم الحسرة قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [6].

يقول الشيخ السعدي عن هذه الآية:

"الإنذار هو الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضي الأمر فيجمع الأولون والآخرون في موقف واحد ويسألون عن أعمالهم فمن آمن بالله واتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاءً لا يسعد بعده، وخسر نفسه وأهله، فحينئذ يتحسر ويندم ندامة تنقطع منها القلوب، وتتصدع منها الأفئدة، وأي حسرة أعظم من

---

(١) القيامة الصغرى: ١١٣.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٧، ٦١.

(٣) الحجر: ٨٥.

(٤) سورة غافر: ٥٩.

(٥) القيامة الصغرى: ١١٤.

(٦) سورة مريم: ٣٩.

فوات رضا الله وجنته واستحقاق سخطه والنار على وجه لا يتمكن الرجوع ليستأنف العمل ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا ؟!! "[1].

وسماه الله أيضاً يوم التلاق قال سبحانه وتعالى: â ‘ßÏ‹ß!$9‘ _M»ê¦rèøèäÃ¦ÃäÅyr[2]á ÇÌÈ ÉÝX¦Pöƒ ‘ÉYâ¾íŠ$7¦â ôÏ¦ â±„ `B 4?ã ¾íÞ¦ôÏ¦. ويوم التلاق: اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه[3].

وسميت بيوم الآزفة قال تعالى: â [4]á ÏÎ¦Pöƒ ÉR&r[5].

واليوم الآخر سمي بيوم التناد، قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون â ƒr»)Ïö)Ïõ¦ÃÎ{&¾Ï¦$ ôÏ¦ â `Br ãÎ¦Pöƒ ÇÌÈ Š$ZF9$Pöƒ[6] وسمي بيوم التغابن قال تعالى: â [7]á ÈÈ$óG9$Pöƒ.

إلى غير ذلك من الأسماء الكثيرة لهذا اليوم ولسنا الآن بصدد حصرها.

٤/ جاء توبيخ القرآن لمن كفر باليوم الآخر في عدة آيات من كتاب الله قال تعالى:

â [8]á ÇÌÈ šc qèÎlø¦ôÏ¦B

قال أبو السعود: "إنما خص بالذكر عدم إيمانهم دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان بها وهم بها كافرون، إشعاراً بما هو المدار في صغو أفئدتهم، إلى ما يلقى إليهم، فإن لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره، وآلامها مزينة

---

(١) تفسير السعدي: ٤٩٣.

(٢) سورة غافر: ١٥.

(٣) تفسير ابن كثير(٤/٩٥) .

(٤) سورة غافر: ١٨.

(٥) تفسير السعدي: ٧٣٥.

(٦) سورة غافر: ٣٢، ٣٣.

(٧) سورة التغابن: ٩.

(٨) سورة الأنعام: ١١٣.

بالشهوات، فالذين لا يؤمنون بها وبأحوال ما فيها لا يدرون أن وراء تلك المكاره لذَّات، ودون هذه الشهوات آلاما، وإنما ينظرون إلى ما بدا لهم في الدنيا، بادئ الرأي فهم مضطرون إلى حب الشهوات التي من جملتها مزخْرفات الأقاويل، ومموَّهات الأباطيل"[(١)]. وقال تعالى عن تكذيبهم ليوم القيامة: [illegible] [(٢)].

[illegible] [(٣)].

وقال سبحانه [illegible] [(٤)].

٥/ أخبر سبحانه جلَّ وعلا في كتابه أن الآخرة أفضل بكثير من متاع هذه الدنيا الزائلة، قال تعالى: [illegible] [(٥)].

٦/ أخبر عن شأنه في كثير من الآيات أن الإيمان بالآخرة يورث في قلب العبد المؤمن طمأنينة وانشراحاً في الصدر، يعينه على الثبات عند المصائب، قال سبحانه: [illegible] [(٦)].

---

(١) تفسير أبي السعود (٢/٤٣٢ – ٤٣٣).

(٢) سورة سبأ: ٣.

(٣) سورة يونس: ٥٣.

(٤) سورة النحل: ٢٢.

(٥) سورة النساء: ٧٧.

(٦) سورة البقرة: ١٥٥ – ١٥٧.

٧/ كما أن من حقق في قلبه معنى الإيمان بلقاء الله، وأن هذه الدنيا زائلة، وأن الآخرة هـــي دار القرار، كان حرياً به أن يخاف هذا اليوم، ويعمل الصالحات بإخلاص لله رجاء مـــا عنده سبحانه، قال تعالى: [illegible] (١).

وقال عز سلطانه: [illegible] (٢).

٨/ أن الاتعاظ والاعتبار لا يوصف به إلا من هم أهل له، وهم هؤلاء الأبرار المتقون، فقال سبحانه بعد حديثه عن أحكام الطلاق والرجعة: [illegible] وقال أيضاً: (٣) [illegible] (٤).

٩/ أخبر القرآن عن عقاب الله لهؤلاء المفسدين في الأرض الظالمين إن لم يرتدعوا و لم يكفوا عن غيهم فسيكون الله لهم بالمرصاد يوم القيامة، قال تعالى: [illegible] (٥).

ثمرات إخلاص العبودية لله في الآخرة:

١/ ثناء الله تعالى على من حقق عبوديته فآمن باليوم الآخر، وخاف لقاء الله، واستعد له أتم الاستعداد، قال سبحانه: [illegible]

---

(١) سورة هود: ١٠٣.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٧ – ٦١.

(٣) سورة الطلاق: ٢.

(٤) سورة ق: ٣٧.

(٥) سورة إبراهيم: ٤٢ – ٤٣.

ÇïÍÈ ËïÏ¾9$ÏQö«Î bqëÏ¾Á¸ûïÏ¾Ïr ÇïÍÈ ÖrëõJ¾Ïr ëÍ÷¡¡=Ï ÇïÍÈ ÞqëÈB Ám ÏÍÎ°qÏ¾ þÎ
ïõ¸ ûïÏ¾Ïr ÇïÑÈ 5qÏ¾B ëþÎ ÏÍÍf >#‹ã bÎ ÇÐÈ bq¾ÏÝêÈB NÍÍf É=#‹ã ôÏB Nël ûïÏ¾Ïr
ÇÌïÈ ûüÏBqëÈB ëþÎ ÏÍ¾Îù Ï¾ÏJ#¾ ÏM3=B $B ÷¾ ÓÎgÅ°r¾ #?ã ïzvÎ ÇÐÈ bq¾ÝÏ»m ÏÍgÅ¸rëõÏ
bqã°‘ ÏÍÐÏ¾ôã¸r ÏÍÍÉÝ»BL¸ ìël ûïÏ¾Ïr ÇÌïÈ br8$è¾Ïr¸ë 7Í¯9r¸ê 7Ï°E ä¤‘r ÁöG¾Ïr$ÇJù
’Î 7Í¯9r¸éÇÌÍÈ bq¾Ý¸Ï$ta ÏÍÍÉX ¹ 4?ã ìël ûïÏ¾Ïr ÇÌÌÈ bqÎÍ÷$% ÏÍÎ‰»k ¶Î Nël ûïÏ¾Ïr ÇïÈ
.(١)á bqëÏ•ÎB ¸M»Z_

٢/ جاء استثناء من آمن باليوم الآخر بحصول الرحمة الإلهية دون غيرهم، قال سبحانه: bÎâ
Ïël ïzr $¼ë© ’¸ëB `ã ’«ëB ÓÍ¸ëã ïzv Pëf ÇÍïÈ šú üÊHë& ÓGÉ)‹Ï ëëÁÝ¾Ïr Pëf
.(٢)á ÇÍïÈ ÐŠm§$¾ã¸fèÏ¾ël ½ëÑÎ ª $Nm§ `B ïzvÎ ÇÍïÈ šc rÇZã

أي: إن يوم القيامة الذي يفصل الله فيه بين الخلائق: هو موعد جمعهم ووقت حسابهم وجزائهم جميعا، إنه يوم لا ينفع قريب قريبا، ولا ناصر منصوراً، ولا يدفع عنه شيئاً من العذاب أو الإغناء، فلا يفيد المؤمن الكافر، ولا ينتصرون من أحد لكن من رَحِمَهُ الله، فإنه ينتصر وينجو، فإن الله هو القوي الغالب القاهر الذي لا يفلت أحد معتدٍ من عذابه(٣).

فينبغي على العبد أن يشهد أن لا إله إلا الله بإخلاص ويقين تام، ولم يكن مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذاً لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا يتركون له ذنباً إلا يُمحى كما يُمحى الليل بالنهار، فإذا قالها

---

(١) سورة المعارج: ١٩، ٣٥.

(٢) سورة الدخان: ٤٠، ٤٢.

(٣) التفسير الوسيط (٣/٢٣٨٦) .

على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصر على ذنب أصـــلاً، فيغفر له ويحرم على النار[١].

٣/ من المقطوع به أنه لن يدخل الجنة وينجو من النار إلا من حقق التوحيد الذي أمر الله به عباده، استناداً لقوله تعالى: ﴿ ` Jï 7ï°Œ brß $B ëÿóƒr ¾ïî 8žêçb& ëÿóƒ ŵ ©$ÞÎâ ﴾[٢] والشرك الأكبر يناقض التوحيد ويبطله، وإذا مات العبد عليه حرم من الجنة، ووجبت له النار، وإن مات على التوحيد الصحيح حرمت عليه النار، ودخل الجنة[٣] لما روى أنس بن مالك – رضي الله عنهما – أن رسول الله r قال لمعاذ وهو رديفه على الرحل:

"ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حـــرم الله عليه النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال: إذا يتكلوا وأخبر بهـــا معاذ عند موته تأثما..."[٤].

٤/ حصول الجزاء الأوفى، والدرجات العلى، والمغفرة والرزق الكريم في جنات النعيم.

﴿ 5žßGÝÎr < ‰ZÑ ` B bqÝ6ù ÇÎÈ 5c qãär M»Z_ 'Î ÇÎÈ &ûB& Ø$)B 'Î ûüÉF{ßϑÎâ šú üÏZÏB#ä þgÅ»ù è=à7 $gŠù bqãßf ÇÍÈ &ûÏ& Aqèz NG»Yô ï–r 7ï°‹Ÿ2 ÇÍÈ šú üÍ»)GB WÒù ÇÍÈ ÉŠÅgø$S >#‹ã ÓG9%rr 4‹rW{p?ôJ{ßzÎ šV ôJ{ß$gŠù šc qè=ä ŵ ÇÍÈ ﴾[٥]á brãÏ2 ‹Ff NG¯è9 7ï$¡îï ç»Ïèe„ $JÍù ÇÎÈ ÐŠÀè{ßqè 7ï°Œ 7îc `B

ذكر الله في هذه الآيات خمسة أنواع لنعيم المتقين وهي:

- أن الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لهم مساكن ومقامات آمنة مأمونة من جميع المخاوف، طيبة المكان والنفس، لا غيرة فيها بينهم في بساتين خضراء،

---

(١) تفسير العزيز الحميد: ٨٨.

(٢) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.

(٣) عقيدة التوحيد: ١٢٩.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠/١) برقم (١٢٨) ومسلم (٦١/١) برقم (٣٢).

(٥) سورة الدخان: ٥١، ٥٨.

وينابيع متفجرة بالماء.

- لباسهم من حرير رقيق، أو خشن غليظ، ذي بريق ولمعان وجمال فريد متقابلين في جلساتهم للاستئناس.
- زواجهم من الحور العين أي الواسعات الأعين مع عِظَم السواد.
- وهم يطلبون للخدمة والتصرف في الجنة ما شاؤوا من أنواع الثمار أو الفاكهة، وهم آمنون من انقطاعها، أو امتناعها، وهم أيضاً آمنون من الأوجاع والأسقام، ومن الموت والعناء، ووساوس الشيطان، وهذا دليل على التمتع بأنواع اللذة المادية والمعنوية.
- ثم إن حياتهم في الجنة دائمة لا يتعرضون في الآخرة للموت أبداً، ولا يذوقون طعم الموت فيها مطلقاً، لكن الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا قد عرفوها وانتهى أمرها، وحماهم الله من عذاب النار ونجاهم منه، والمراد أن الله تعالى نفى عنهم أمرين: ذوق الموت وعذاب النار(١).

فما حصل لهم من دخول الجنة فهو بشارة من الله للمؤمنين بوعده الصادق â ãr‰$ ¡ª

ûïŠ$ÎBs ûïŠ$ÎBr šú üÏŠ$ÎBs `ÏB “ Ìø‹ÏB ÏM»Z_ ÏM»Ÿ²Bs `ÏB “ Ìø‹ÏB ÏM»Z_ ÏM»Ÿ²Br

.(٢)á ÇÚÈ ÐŠÌèÏ‰ãqÏ 7Ï°Ê ÇÚö2 &«! $ŠÆ Ï‰ãqÊ ír 5Ï‰ã ÏM»Z_ † Î

وقد جعل الله في الجنة لأوليائه ما تقر به أعينهم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى: â ÏM‹ç; ’Åz¿$B ÇÚÈ bqèJèf ¤qç. $JÎ

.(٣)á ÇÚÈ bqèJèf ¤qç. $JÎ ÏM»Z_ ÏNÍ=ù ÏM»s)Á9$¤qèÅr ¤qÇB#ä

وقال سبحانه وتعالى: â ÏNÍ=™ ¼çRöqè)ù Pöf ÏNÍ=ÏB

.(٤)á $Yfè. #ô_& ÏNÍ;Ê&ãr ÏÐ-™ ¼çRöqè)ù Pöf ÏNÍ=ÏB

---

(١) التفسير الوسيط (٣/٢٣٨٨ – ٢٣٨٩).

(٢) سورة التوبة: ٧٢.

(٣) سورة السجدة: ١٧، ١٩.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٤.

وقال عز سلطانه عن نعيمهم: â ùq%9Šû$!ª Ÿš ŒŸ 7 $ŠkÙq Ùr 9)9Ûš RØ ž r ßǰrY# ÈÇ

r_ "1ßN ÎJ$ ¹ |9ǰr} _Z ž rm̀ƒ\# ÈÇ ɃŠÅkùû ÙŽk$ ã?' $‘ŧ‘ ÀŸ w ƒ• r b ÙŽk$ ©ð $T rŸ

Þg ̀ƒ\# ÈÇ rŠ#Îk p ã̀ƒ ßN Iß=g$ r̀ÿ=M ê ügqè$?õk W ÈÍÇ r̀Ü$ $ ã̀ƒ ßN Î«$Îk p B̀`

Ù̀Ò p̀r Øq# 5 %RM ó %q# fƒ ̀ ÈÎÇ %q# fƒ•} B̀` Ù̀Ò p %ŽŠr d$?ǭ ƒ‰ƒ\# ÈÏÇ ǫ ǫb ÙŽk$ ǫÙ$

.%b B•# _ã$ gS̀_ ÈÐÇ ãŽ% ŽkÙ$ ê ¡ |4 ™Ù ¡ Ȯ>W ÈÑÇ r ƒùq ã$ ÌŠ ̀ƒN Ì̀o$ C@$

(Ì ‘&ƒM| 0S ‘&ƒM| RŽk$ rãtZ% .Î•Ž# ÈÒÇ ã»ÞÍN

Ï<$ Ü ZI% C ä×Ø ž rÎ*cÖ ž× r ãƒƒp} &™$ƒ‘ B̀` Ù̀Ò p r™)9ÛN ‘Åù ©•#X$ Ûßq‘# ÈÓÇ Îb

.[1]á ÈÇ‘# B•ãq O•ã ™è b%.r _"‘B ã9 b%. d»<#

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رســـول الله **r** :
(لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب) [2].

وفي حديث أبي أمامة* عن النبي **r** (ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها هـــي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة ومحلة عالية بهية) [3] .

ه/ تسليم كتبهم من ربهم يوم القيامة باليمين، قال تعالى: â ù'$B Bôêr Î šs ĠÏ»ç7¼ Î>ÜšŸÏ¾

. [4]á ÈÇ ùi¡ ÷q$ tã™$ Ü mÏ¡ $‰ÅZ# ÈÇ rƒZ)ÏÜ Ï>#Ü ×dÉÏ¼ B•ŚŸr# ÈÇ

---

(١) سورة الإنسان: ١١ – ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٢٩/٣) برقم (٢٦٤٠) .

(*) أبو أمامة صدي بن عجلان أبو أسامة الباهلي صحابي مشهور كبير القدر سكن الشام ومات بها سنة ٨٦هـــ أنظر أسد الغابة ١٦/٢، التقريب ٢٧٦.

(٣) أخرجه بن ماجه (٢٠١٦/٢) برقم (٤٤٧٥) والبزار (٢٣/٤) وابن حبـــان في صـــحيحه كمـــا في الإحـــسان (٣٦٦/١٦) وخيثمة الأطرابلسي في حديثه (٢٠٤) برقم (١٩٤) من طريق محمد بن مهـــاجر عـــن الـــضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسى عن كريز عن أسامة بن زيد رفعه . وقال البزار : لا نعلم رواه من النبي صـــلى الله عليه وسلم إلا اسامة بن زيد ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر .

(٤) سورة الانشقاق : ٧ – ٩ .

أي أنه يحاسب حساباً سهلاً بأن تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها ويتجاوز عنها من غير أن يناقشه الحساب، فذلك الحساب اليسير أخذاً بمفهوم الحديث الذي أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله r : (من نوقش الحساب عُذِّب قالت: فقلت: أفليس الله تعالى قال: (فسوف يحاسب حساباً يسيرا) ؟ قال: ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض ومن نوقش الحساب يوم القيامة عُذّب"[١] وهذا الذي يحاسب حساباً يسيراً بالعرض يرجع إلى أهله وعشيرته في الجنة مغتبطاً فرحاً مسروراً بما أعطاه الله عز وجل وما أوتي من الخير والكرامة [٢].

٦/ رؤية وجه الله تعالى في الجنة، قال تعالى: á øŠ$fî r á ó tø$(qã¡ ôn& ûï‰Ï© â [٣] الحسنى هي الجنة والزيادة عليها النظر إلى الله [٤].

وفي الحديث عن أبي تميمة الهجيمي قال، سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: (إن الله يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول: "يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم" ! فينظرون فيرون الحلي والحامل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون: "نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا" ثم يقول الملك: "هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ " ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئا مما وُعِدوا فيقولون: "نعم" فيقول: "قد بقى لكم شيء، إن الله يقول: á øŠ$fî r á ó tø$(qã¡ ôn& ûï‰Ï© â ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٣٩٥) برقم (٦١٧١) ومسلم (٤/٢٢٠٥) برقم (٢٨٧٦) .

(٢) التفسير الوسيط (٣/٢٨٤٧) .

(٣) سورة يونس: ٢٦.

(٤) تفسير الطبري (٦/٥٤٩) .

(٥) أخرجه الإمام بن المبارك في الزهد (١٢٧) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية ، عن ابي بكر الهذلي: أن أبو تميمة الهجيمي قال : سمعت أبا موسى الأشعري . وذكره . ومن طريق أبي بكر الهذلي أخرجه ابن جريرالطبري في تفسيره ، تحقيق شاكر (١٥/٦٤) وأخرجه الدينوي في المجالسة وجواهر العلم ، دار بن حزم لبنان ط ١٤٢٣هـ من طريق بن المبارك (١/٥٤٢) واخرجه الدار قطني في كتاب الرؤية، دار القرآن، القاهرة تحقيق مبروك اسماعيل من طريق أبي بكر الهذلي ومن طريق أبان بن أبي عياش عن أبي تميمة به. ص: ٦٧٠ وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٤٦١) من طريق بن المبارك.

وأبو بكر الهذلي متروك الحديث كما في التقريب (٦٢٥) وهكذا أبان بن أبي عياش متروك أيضا كما في التقريب (٨٧).

والهجيمي هو أبو تميمة واسمه طريف بن مجالد الهيجيمي البصري ، ثقة من الثالثة مشهور بكنيته مات سنة سبع وتسعين أو قبلها . التقريب (٢٨٢) .

٧/ زوال الخوف والحزن من قلوبهم، وذلك عند دخولهم الجنة قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾[١].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾[٢].

كما أن لهم السعادة الأبدية في الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾[٣].

- حصول التحية الكاملة لهم والسلامة من كل آفة[٤]، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾[٥].

- البشارة من الله لهم بالرحمة والرضوان، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾[٦].

- ذهاب الظلم فيما بينهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾[٧].

- الخلود الأبدي في الجنة، قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾[٨].

---

(١) سورة الأعراف: ٤٩.

(٢) سورة الزخرف: ٦٨، ٧٣.

(٣) سورة هود: ١٠٨.

(٤) تفسير السعدي ٤٣٩.

(٥) سورة النحل: ٣٢.

(٦) سورة التوبة: ٢١.

(٧) سورة مريم: ٦٠.

(٨) سورتي الأعراف ٤٢، يونس ٢٦.

٨/ من تكريم الله لروح المؤمن حين الموت أن الله يرسل الملائكة لسل روحه فتأتيه في صفة حسنة جميلة[١]، ففي حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه- أن الرسول r قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ بصره، ثم يجيء ملك الموت – عليه السلام – حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة وفي رواية: (المطمئنة) اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها "[٢].

وقد ذكر الرسول r في هذا الحديث التكريم الذي يكون لروح العبد الصالح بعد خروجها من جسده، حيث تصلي ملائكة الله على تلك الروح الطيبة، وتفتح لها أبواب السماء وتجعل في كفن من الجنة وحنوط من الجنة، وتخرج منها روائح طيبة عطرة تفوق رائحة المسك ثم تأخذها الملائكة في رحلة علوية كريمة، وتفتح لها أبواب السماء[٣].

٩/ ثبات الله لعبده المؤمن حينما يُسأل في قبره[٤]، جاء في الحديث الذي يرويه البراء بن عازب عن النبي r "فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك ما دينك ؟ من نبيك ؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: â á $<‰$ïqštø$ ’ î Ì?$V9$Éo)øB fqZB#ä šú ï‰$¹ $Ìî?â فيقول: ربي الله وديني الإسلام، ونبيي محمد r ، فيناد مناد من السماء: أن صدق عبدي[٥].

---

(١) انظر: اليوم الآخر القيامة الصغرى، د. عمر بن سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، ص١٩، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) أخرجه بن المبارك في الزهد وأخرجه هناد بن السرى في الزهد دار الخلفاء للكتاب ط ١ – ١٤٠٦هـ تحقيق عبد الرحمن الفريوائي (٢٠٤/١) بإسناد صحيح رجاله ثقات .

البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ، صحابي ابن صحابي نزل الكوفة ، أُستصغر يوم بدر وكان هو وابن عمر لِدَةً . مات سنة اثنتين وسبعين . التقريب (١٢١) .

قال البوصيري في اتحاف الخيرة : رواه أبو داود الطيالسي بسند صحيح عن ابن عمر بن ثابت عن المنهال عن زاذان عن البراء، وعن أبي عوانة عن الأعمش عن المنهال ... به، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨٧/٤) ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع كلهم عن أبي معاوية عن الأعمش، ورواه أبو داود والنسائي وبن ماجه باختصار. الاتحاف للبوصيري (١٣١/٢) ويراجع المصنف لابن أبي شيبة (٢٥٦/٣) والحاكم في المستدرك (٤٩/١).

(٣) القيامة الصغرى: ٣٧.

(٤) المصدر السابق ٤٤.

(٥) تقدم تخريجه.

١٠/أن الله – عز وجل – يكرم عباده المؤمنين يوم القيامة حينما تدنوا الشمس من الخلائق قدر ميل، بأن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما أخبر بذلك النبي r : (إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال: فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) (١).

١١/أن هناك طائفة من عباد الله الصالحين الذين وصلوا إلى مراتب رفيعة في درجات العبودية يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما ثبت ذلك في "الصحيحين" : (أن النبي r رأى أمته ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) (٢).

وهناك صفة لحساب المؤمن: وهي أن الله تعالى يخلو بعبده المؤمن دون أن يطلع عليه أحد ويقرره بذنوبه أي: يقول له: عملت كذا وعملت كذا حتى يقر ويعترف ثم يقول: "سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها اليوم".

ومع ذلك فإنه سبحانه وتعالى يضع عليه ستره، بحيث لا يراه أحد ولا يسمعه أحد، وهذا من فضل الله عز وجل على المؤمن، فإن الإنسان إذا قررك بجناياتك أمام الناس وإن سمع عنك ففيه شيء من الفضيحة، لكن إذا كان ذلك وحدك فإن ذلك ستر منه عليك(٣).

١٢/من تكريم الله للمؤمنين في الآخرة أن جعل لهم نوراً يمشون به على الصراط ليهتدوا به في الآخرة(٤)، قال تعالى: Ê#ÿÏ Nàï¾ïqÎ?Ï (qÆB#är ©$(qàÆ$(qÆB#ä ûïÍ©$$Ê?Ï â

á ÇÏÈ ×ïm§ Ôqàî ª! $r Nà9 ÿÿór ¾ïÍ bqàÒ? #Yç Nà6 ©@èÿr ¾ïÍJô§ `B (٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤/١) برقم (٦٢٩) .ومسلم (٧١٥/٢) برقم (١٠٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٩/١) برقم (٢٢٠) .

(٣) شرح العقيدة الواسطية، لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين: ٥١٣.

(٤) انظر: التفسير الوسيط (٢٦٠٤/٣) .

(٥) سورة الحديد: ٢٨.

وقال تعالى: [illegible] .[1]

١٣/من تكريم الله للمؤمنين أيضاً شفاعة النبي ﷺ، وذلك أن له عليه الصلاة والسلام ثلاث شفاعات[2]:

الشفاعة الأولى: يشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبيـــاء: آدم ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم، عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.

الشفاعة الثانية: يشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة لـــه ولـــسائر النبـــيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلـــها أن يخرج منها .

١٤/أن من تزود في دنياه بأعمال صالحة، وأخلص النية لله تعالى فإن هذا طريق موصل للجنة، ولهذا أثنى الله على عباده وأوليائه الذين حققوا عبودية ربهم وأخلصوا أعمالهم له في قوله تعالى: [illegible]

---

(١) سورة التحريم: ٨.

(٢) شرح العقيدة الواسطية: ٥٢٥، ٥٣١.

[illegible] .(١)

١٥/ أن هناك طائفة خلفت الأنبياء والصالحين بسوء، فضيعت الصلاة واتبعت الشهوات والملذات وبعد ذلك تبدلت أحوالهم بتوبتهم الصادقة، ورجوعهم إلى الله تعالى فأكرمهم الله تعالى بدخول جناته والانضمام إلى عباده وأولياءه، فقال عنهم: [illegible]

[illegible] (٢)

وصف الله هذه الجنات التي أعدها لعباده التائبين من الآثام والذنوب بأوصاف وهي:

١/ أي (٣) جنات إقامة أبدية أعدها الله لأوليائه وعباده الأبرار، الذين وعدهم الله بهذه الجنات، في ظهر الغيب فآمنوا بها ولم يروها ولو رأوها لكانوا أشد له عباده، وأعظم إنابة، وأكثر حباً وأجل شوقاً، وأن وعده سبحانه حق فهو لا يخلف الميعاد.

---

(١) سورة الإنسان: ٥، ٢٢.

(٢) سورة مريم: ٥٩، ٦٣.

(٣) سورة مريم ٦١ .

٢/ أي لا يسمعون فيها كلاماً فاحشا باطلا لا فائدة منه (أي كلاماً سالماً من كل آفة وعيب من تسبيح وتحميد وذكر الله، وسماع كلام عباده المتقين بعضهم لبعض، وسماع كلام الملائكة والأصوات الشجية من الولدان، والحور العين، فليس في الجنة إلا السلام التام من جميع الوجوه.

٣/ ما تشتهيه نفوسهم من المآكل والمشارب.

قال البغوي – رحمه الله – قال أهل التفسير: "ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبداً، ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار، وقيل إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بإرجاء الحجب وقيل المراد رفاهية العيش وسعة الرزق"(١).

٤/

أن السبب الموجب لدخول عباد الرحمن الجنة هو تقوى الله الذين حققوا عبودية الله في السراء والضراء، فصارت الجنة ميراثاً للمتقين وذلك أن منزلتهم في النار يورثها الله الفجار ومنزلة الفجار يورثها عباده الأتقياء في الجنة.

فهم استحقوا دخول الجنة واستحقوا أن يورثوها، لأنهم قاموا بالمأمورات واجتنبوا المنهيات كما قال تعالى: (٢).

وما حصل لهم ذلك إلا بصدقهم في عبودية ربهم، فاستحقوا رضا الله تعالى بدخول الجنة(٣) قال سبحانه (٤).

---

(١) تفسير البغوي (٣/٢٠١ – ٢٠٢).

(٢) سورة الأنبياء ١٠٥.

(٣) ينظر فيما سبق: تفسير البغوي: ٢٠١، ٢٠٢. تنوير المقياس من تفسير ابن عباس: ٣٢٧.

(٤) سورة الفجر: ٢٧، ٣٠.

١٦/علم الله بأحوال عباده المخلصين، وسلامة نياتهم ومقاصدهم، تجـــاه عبوديتـــه تبـــارك وتعالى، كعلمه بأحوال عباده العاصين المذنبين، ومن ثم مجازاة كل بما عمل قال سبحانه:

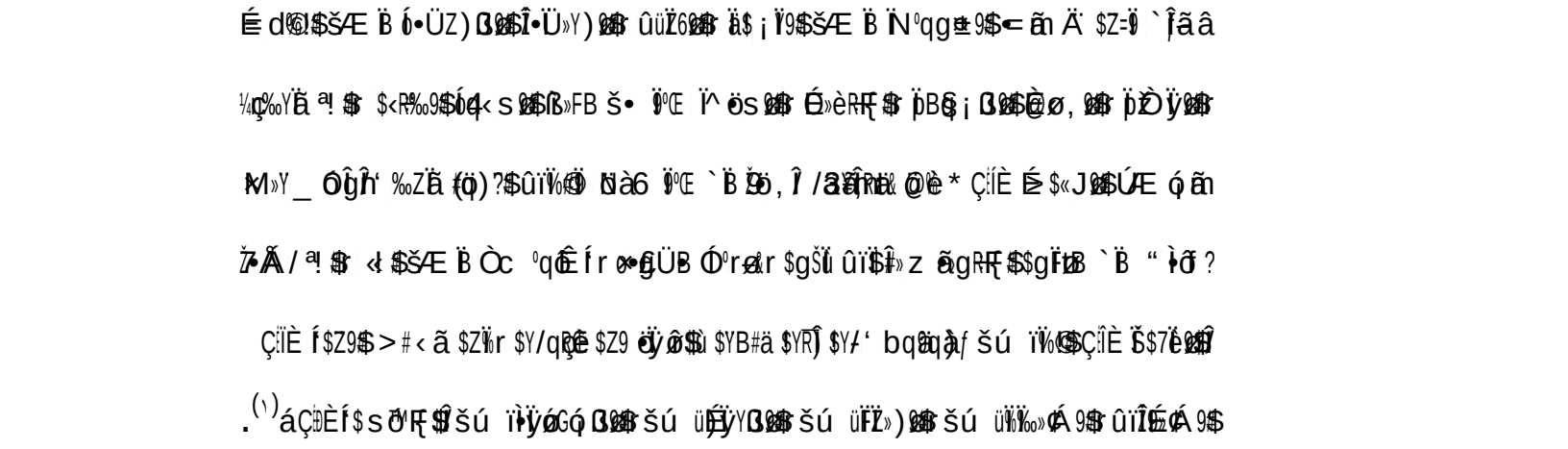

.[١]

فهم الطائفة المطيعة لله تعالى التي قامت بما أوجب عليها من واجبات فأتمرت بالمأمورات وانتهت عن المنهيات، ورضى عنها خالقها كل هذا رغبة لنيل أعلى الدرجات في جنات الفردوس، وهم مع ذلك توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنـــوبهم، ويقيهم شر آثارها، وهو عذاب النار، ثم فصل سبحانه في أوصاف التقوى، فذكر أنهم صابرون على أداء الفرائض، وعن اجتناب المعاصي، والصادقين في أقـــوالهم وأفعـــالهم، والقانتين المطيعين لله ورسوله، والمنفقين المتصدقين بأموالهم في سبيل الله، والمـــستغفرين بالأسحار فهم مع قيامهم بتلك الطاعات إلا أنهم جعلوا لهم نـــصيباً مـــن الاســـتغفار، وسؤال الله والتضرع إليه، بمغفرة الذنوب في وقت السحر، وخُصّ بالذكر؛ لأنه وقـــت الغفلة ولذة النوم[٢].

---

(١) سورة آل عمران: ١٤ – ١٧ .

(٢) انظر تفسير السعدي: ١٢٤ ، تنوير المقياس: ٦١ ، تفسير الجلالين: ٥٢.

الباب الرابع

الفصل الثاني

آثار العبودية في حياة الفرد والمجتمع

وفيه مبحثان:

المبحث الأول

أثر العبودية في حياة الفرد

المبحث الثاني

أثر العبودية في حياة المجتمع

المبحث الأول

أثر العبودية

في حياة الفرد

من أهم آثار العبودية على حياة الفرد ما يلي:

١/ إن العزة وكمال الشرف، والحرية من عبودية البشر لا تكون إلا في تحقيق العبادة لله عز وجل والاستعانة به وحده، والإنسان لا يبلغ كماله الحقيقي وشرفه الأعلى إلا في العبودية لله وحده، والرفض الكامل لعبودية ما سواه، وهذا الكمال البشري هو الذي وصل إليه أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم نبينا محمد e [(١)].

والعبد بهذا الحال يكون قد حرر نفسه من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد فيصبح عنده وضوح تام في الحياة، فلا يتوجه إلا إلى الله، ولا يدعوا إلا إياه، ولا يصرف أي أمر من أمور العبادة إلا لله، لعلمه اليقيني أن الله هو وحده المعبود الحق[(٢)]، عندها يكون قد حرر نفسه من عبودية غير الله من كل سلطان وهمي وتسمو بعقله عن الخضوع لترهات القبوريين والمشعوذين، وتعصمها من همزات شياطين الجن والإنس، وتنقذها من مكر الدجاجلة المضللين المهرجين؛ لأنها—بإذن الله- تكسب العبد فرقاناً يميز به بين الحق والباطل ويعرف به دعاة الرشد من دعاة الغي الذين تفاقم شرهم[(٣)]، فأعظم وأهم أثر من آثار العبودية تحرير القلب من العبودية والخضوع لغير الله تعالى، وإنها لأعظم من كل حرية طلبها البشر على مدى التاريخ، فالحرية مطلب سامٍ طالما سعى إليه العبد فرداً وجماعة، وبذلوا لأجله النفس والنفيس، ولكن دائرة العبودية التي يفرون منها ضيقةً جداً لا تتجاوز مفهوم الرق، حيث يصير الإنسان مملوكا لغيره يباع ويشترى، أو السيطرة والاستذلال من قبل جماعة لجماعة أخرى[(٤)].

ولكن ثمة ألوان من العبودية والأسر يرسف فيها الناس، وتمتهن وتستذل لها قلوبهم ونفوسهم، ويحرصون مع هذا عليها فيخضعون لبشر أو حجر يعتقدون فيها النفع والضر ويبذلون لها فروض الولاء والعبودية.

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم لعبد العزيز الجليل (٣٦٩/٢) ط٢ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م دار طيبة.

(٢) انظر عقيدة التوحيد ١٣١.

(٣) صفوة المفاهيم والآثار من تفسير القرآن العظيم للشيخ عبد الرحمن الدوسري (٥٧/١) دار المفني للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

(٤) أنظر أثر الأيمان في تحرير الإنسان لعمر الأشقر مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٥هـ ص٥-٨.

قال الشيخ –عبد الرحمن الدوسري- عند تفسير â$f , R7çÈR , $f)r ¾ü¦GÉú$, Ú¦ÈÇá.

بتحقيق العمل بمد لول â$f , R7çÈR , $f)r ¾ü¦GÉú$, Ú¦ÈÇá ينجو الإنسان ويسلم من الرق المعنوي، الذي هو أفظع وأنكى من كل رق حسي؛ لأن الرق الحسي يشعر به صاحبه فيتمنى انتهاءه ويسعى لإزالته والتخلص منه، حسب مجهوده، ولكن الرق المعنوي لا يشعر به صاحبه بل على العكس ينقلب تصوره له تحرراً وتقدماً فيتمادى باستحسان حالته، دون أن يخالجه أدنى شيء من الامتعاض والإحساس.

وكل من لم ينشغف وينشغل بعبادة الله ويحصرا تجاهه عليها واستعانته به جل وعلا فإنه لابد من أن يبتلى بنوع أو أنواع من الرق المعنوي المذيب لشخصيته من حيث لا يشعر، فمنهم من تسترقه شهواته، وتجعله عبداً لمرذول أو مرذولة لا يرضي هو أن يكونوا من عبيده لو كان متحرراً من الرق المعنوي، مستبصراً بالبصيرة الفطرية، ولكن الرق المعنوي يجعله مغرماً بهذا أو هذه أو بهما جميعا، فيكون منشغفا بقشر الجمال الذي سلب عقله واسترق أحاسيسه وجوارحه، يتغنى بأوصافه ويفديه بنفسه وروحه التي لا تعد لها الدنيا جميعا ثمناً لو عرف قيمة نفسه، بل يجهد نفسه في تحصيل الرضا أو طلب الوصال ممن يجب بغضه أو الابتعاد عنه، لو ملك العقل الفطري الذي يرفعه عن الرق المعنوي إلى أن قال: "والمسلم المؤمن الصادق لا يرتبط في جميع أحوال سيره بعجلة أحد ولا تبعيه أحد لسلامته من الرق المعنوي، بإخلاص مقاصده لله وكونه مستعيناً به فقط، فلا يخشى من أي قوة، ولا يستعين بكتلة على كتلة أخرى؛ حتى لا يصغي إلى ما تمليه. وأصحاب الرق المعنوي يعادون الحر الذي على هذه الشاكلة بدافع من طبيعتهم السافلة، أو بإملاء من أسيادهم الذين يركنون إليهم، ولا سبيل لتطهير قلوبهم من ذلك إلا بما يحرر أرواحهم من القيام بمد لول[1] â$f , R7çÈR , $f)r ¾ü¦GÉú$, Ú¦ÈÇá .

(١) صفوة المفاهيم والآثار (١/٢٩١) .

٢/ الاستغناء بالله عما سواه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

" الرق والعبودية في الحقيقة: هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فالقلب عبده ولهذا يقال:

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع

وقال القائل:

أطعت مطامعي فاستبعدتني ولو أني قنعت كنت حراً

إلى أن قال -رحمه الله تعالى-:

"وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه، لقضاء حاجته ورفع ضرورته قويت عبوديته وحريته عما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه، كما قيل:

استغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره".

ويقول أيضاً:

"فإن أسْر القلب أعظم من أسْر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فإن من استُعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي مادام قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب الذي هو ملك الجسم رقيقاً مستعبداً، متيما لغير الله، فهذا هو الذل المحض والعبودية الذليلة لما استعبد القلب[١]".

وقال أيضاً "وإذا تبين هذا فكلما ازداد القلب حباً لله ازداد عبودية وحرية عما سواه، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حباً وحرية عما سواه[٢]".

---

(١) العبودية: ٩٤، ٩٦.

(٢) المصدر السابق ١٠٨.

قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ ... ﴾ [2].

ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضيه، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه،...فكلما قوي إخلاص دينه لله كُملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات[3].

٣/ حصول الطمأنينة، والهدوء، والسكينة، والراحة، والرضا، والأمن والاستقرار والحياة الطيبة.

قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [4].

قال ابن عطية -رحمه الله-:

"طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم، وبذلها، وقوة رجائهم والرجاء للنفس أمر ملذ، فبهذا تطيب حياتهم، وأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم[5] ".

وقال سبحانه ﴿ ... ﴾ [6].

---

(١) سورة العنكبوت ٤١.

(٢) سورة مريم ٨١، ٨٢.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/١٩٨) .

(٤) سورة النحل:٩٧

(٥) تفسير ابن عطية : (٤١٩/٣) .

(٦) سورة يونس: ٣.

وفي المقابل فإن العبد إذا حصلت له هذه الآثار فحتما سيكون بعيداً عن الهـــم والقلـــق والاكتئاب؛ لأن له هدفاً يسعى إليه، ومثلاً أعلى يطلبه، ألا وهـــو نيـــل رضـــوان الله وجنته[١].

قال تعالى: [illegible][٢].

إن للسكينة والأمن النفسي مصدراً واحداً هو الإيمان بالله واليوم الآخر؛ الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق وهذا ما يشهد به الواقع والمثال، وما أيده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسان بصير في نفسه وفيمن حوله، لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقا وضيقاً واضطربا وشعوراً بالتفاهة والضياع المحرمون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق وإن حفلت باللذائذ والمرفهات؛ لأنهم لا يدركون لها سراً فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس واطمئنان وانشراح صدر[٣].

قال تعالى: [illegible][٤].

٤/ التوكل على الله -عز وجل فهو من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفـــع المـــضار[٥] فالذي يؤمن بأن الله بيده تصاريف الحياة وبيده النفع والضر يترك الأمر إليه ويرضـــى بمشيئته[٦]، فقد بلغ مرتبة التوكل التي هي أثر من آثار الإيمان.

وقال تعالى في حق محمد e وأصحابه [illegible][٧].

---

(١) انظر عقيدة التوحيد ٤١.

(٢) سورة الرعد: ٢٨ .

(٣) أثر القرآن في الأمن النفسي ١٦٤-١٦٣ لناهد الخراشي دار الكتاب الحديث ط الرابعة.

(٤) سورة يوسف: ٨٧.

(٥) التوكل على الله وعلاقته بالأسباب ١١٦ د.عبد الله الدميجي دار الوطن ط ١٤٢١،٢هـ ٢٠٠م.

(٦) التوكل على الله وأثره في حياة المسلم لعبد الله الجار الله ص٣ وما بعدها دار القاسم للنشر ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

(٧) سورة آل عمران ١٧٤.

قال ابن كثير - رحمه الله-:

" لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم مما أضمر لهم عدوهم[1].

. á ØŠèã @ØÙ ùr ê ª ! $ « ! $ b ° q Ê Í (q ã 7 ? $ r â

قال ابن القيم-رحمه الله- :

"والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه أي: كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه ، فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لابد منه، الحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ مراده فلا يكون أبداً[2] ".

ولهذا صار التوكل شرطاً من شروط الأيمان، وهو من أهم صفات المؤمنين قال تعالى: á ûüÏ Bs ª B O ç Ÿ ä b) (þ ê Q q Ù « ! $ ' ? ã r â [3].

٥/ كما أن من الآثار أيضاً التربية الذاتية:

منطلق هذه التربية للإنسان بازغة منذ فجرها الأول في القرآن الكريم فلو نظرنا إلى تربية الإنسان في القرآن الكريم، لوجدنا نظاماً محكما يبدأ مع الإنسان منذ أول خلقه، حتى يلقى الله عز وجل ويواجه مصيره الذي ينتظره ويكشف هذا النظام النقاب عن خلق النفس الإنسانية العجيبة الشأن، ويبين ما يزكيها أو يدسها من المعتقدات والأقوال والأفعال، ثم هو لا يهمل العقل والجسد البشري، بل يوظف ذلك كله في تحقيق الخلافة الإنسانية على الأرض[4].

فتحقيق العبد للعبودية الحقه يضيء جوانب نفسه ويطهرها وينقيها ويحيي روح العبد بهذا الإيمان والقرآن.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٦١ – ٥٦٢) .

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٦٧) .

(٣) سورة المائدة : ٢٣.

(٤) ملامح التفسير التربوي للقرآن الكريم أ.د.إبراهيم بن سعيد الدوسري ص:٣٤ ط: الأولى دار الحضارة للنشر والتوزيع ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

كما أن منهج القرآن الكريم في التربية ينبثق من كمال هذا الدين ومعجزة هذا الكتاب المجيد، فتربيته تسع كل المجالات، كما أنها باقية وصالحة لكل عصر وجيل، حيث إن إعجاز القرآن لا ينحصر في ألفاظه ومبانيه، ولكنه يمتد إلى معانيه ومناهجه الحياتية والحيوية[١].

٦/ الإخلاص في العمل لله تعالى والمتابعة للرسول e، فمن آثار العبودية على حياة الفرد، أنها تجعله يسلك المسلك الأمثل والمنهج الصحيح عند القيام بالعمل فلا يقدم على أي عمل حتى ينظر فيه، هل توفرت فيه شرطا العبادة الصحيحة ام لا ؟.

قال تعالى: [illegible] [٢].

وقال تعالى: [illegible] [٣].

٧/ الاستجابة لأمر الله تعالى والمسارعة والمبادرة بالامتثال والقيام بالأعمال الصالحة وبهذا يحصل على هداية الله لقلبه.

قال تعالى: [illegible] [٤].

وقال أيضاً: [illegible] [٥].

٨/ إن لمعرفة أسماء الله وصفاته أعظم الأثر في تحقيق العبودية لله رب العالمين، إذ إن معرفة العبد بها واستحضاره لمعانيها وتفكره في آثارها تجعله موصولاً دائما بمعبوده الحق سبحانه وتعالى، محباً له راجياً قربه، وعطاءه، خائفا غضبه وعذابه، متوكلاً مستعيناً

---

(١) المصدر السابق :٣٥

(٢) سورة البينة: ٥

(٣) سورة الحشر: ٧.

(٤) سورة النحل: ٩٧.

(٥) سورة التغابن، ١١.

منيباً[1]، أكد هذا العز بن عبد السلام بقوله: "فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات[2]".

وأشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-

إلى أن "أصوال العبادة الثلاثة (الحب، والرجاء، والخوف) من آثار وثمرات التعبد بأسماء الله وصفاته، فقال: في مسائل ذكرها في تفسير سورة الفاتحة أركان الدين الحب، والرجاء والخوف، فالحب في الأولى وهي á ÇÈ šú ïÜ-»è¤ÅU ' + ‰ð s¤â والرجاء في الثانية وهي Éú ï¤!$Qöƒ Å Î»B â والخوف في الثالثة وهي á ÇÌÈ É$ïm$$Ç»Hq$$â á ÇÍÈ[3].

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين حققوا عبوديته لهذه الأركان الثلاثة قال تعالى: ¼qÇJô‘ bqã_ö/r Ü•¼ Ñ¤ '#‹Åqä¤ÐÎgÎ 4‹î šc qáÇöƒ šc qã¤ƒ ûïÏ%$$ 7 Í¯9réâ á ÇÎÈ #Yrâ‘Ç b‰. 7ÎÏ >#‹ã Ïbî ÿÏç/#‹ã šc qè¤ƒtr[4].

قال ابن السعدي-رحمه الله-

"وهذه الأمور الثلاثة الخوف، والرجاء، والمحبة، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي أصل العبودية فمن تمت له تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور"[5].

٩/ من الآثار أيضاً تحقيق مبدأ الولاء والبراء، فالمحقق للعبودية فعلاً هو الذي يوالي أولياء الرحمن ويحبهم، ويعادي أهل الكفر والإلحاد والشرك ويبغضهم قال تعالى: â ƒ$$¯»S$$

---

(١) تحقيق العبودية لفوز الكردي ٢٤٣.

(٢) شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام بن عبد السلام السلمي ص١، تحقيق إياد الطباع دار الفكر المعاصر بيروت، ط ١٤٦١،٢هـ ١٩٩٦م .

(٣) تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥٨.

(٤) سورة الإسراء: ٥٧.

(٥) تفسير السعدي ٤٦١ .

Ç»JƒMS'?ã •ÿà6 ØÆ(qÐTM GÕ$ÈÎ) ä$Ï#& Ná3R°q÷z Îr Náä$/#ä (ÿäÏ, F? Ẅw (qŽB#ä šú ï‰Ó$

.(١) á ÇÎÌÈ šc qß3Î»e9$Ñæd 7Í¯9r(é Ná3ŽB OßÓqƒ `Br

وقال تعالى: Nížß) šc qà¿ä$‹Ï#& Näär‰ãr “Ír‰ã (räÏ, G? Ẅw (qŽB#ä ûïÏ%Ó$ÑÆ»ƒ â

.(٢) á È(s‰Æ`B Nää!` $JÎ (rèÿ. ß‰r íŠqJ‰Ø

فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم مولاتهم(٣) قال: bqè=ãr o4-Á9$bqß‹ÉÃûïÏ%Ó$(qŽB#ä ûïÏ%Ó$ ¼ãqß‘r ª $Ñä3Ïr $KRÎ â

Ðèl «!$>“ïm bÎù (qŽB#ä ûïÏ%Ó$ ¼ãqß‘r ©$Aqƒ `Br ÇÎÌÈ bqãÏ°‘ Ñèr o4."9$

.(٤) á bqçÎ»ó‰Æ

وفي الحديث عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه)(٥).

١٠/ البعد عن إتباع الهوى

قال تعالى: á «!$Ç‹Î™ `ã 7=Ås3 qg‰ÆE® Ẅr â .(٦)

وقال عزوجل: P& ÇÎÌÈ ¸x‹Å2 r ïø‾ã ãqã? MR'ù& ç1qd ¼çg»9Î ‹ƒB$ÇB Mƒä‘& â

@Ê& Ñèl ©/ Ä»èH{$ ẅÎ Ñèl ÞÎ šc qèÊƒ ¬& šc qãJó„ ÑèŽÝò2 & Þ& Ü ¡tB

.(٧) á ÇÍÌÈ ¸x‹Î™

---

(١) سورة التوبة: ٢٣.

(٢) سورة الممتحنة: ١.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٤).

(٤) سورة المائدة: ٥٥، ٥٦

(٥) أخرجه البخاري (٥/٢٣٨٥) برقم (٦١٣٧).

(٦) سورة ص ٢٦.

(٧) سورة الفرقان: ٤٣، ٤٤.

وقال: [illegible][1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :-رحمه الله-

" المحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة، والمحبة الضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء، ومعلوم أن الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضره، لكن يكون ذلك عن جهل وظلم، فإن النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها، وذلك ظلم منها لها، وقد تكون جاهلة لحالها به بأن تهوى الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة وتبع هواها، وهذا حال من اتبع هواه بغير علم، وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوى نفسه، وكل ذلك من أمور الجاهلية وإن كان كل من جهلها وظلمها لايكاد يخلو عن شبهة يشتبه بها الحق، وشهوة هي في الأصل محمودة، إذا وضعت في محلها كحال الذي يحب لقاء قريبه؛فإن هذا محمود وهو أصل صلة الرحم التي هي شجنة[2] من الرحمن.

لكن إذا اتبع هواه، حتى خرج عن العدل بين ذوي القربى وغيرهم كان هذا ظلما" [3]

كما قال سبحانه وتعالى: [illegible]

[illegible][4].

وقال تعالى: [illegible][5].

١١/طاعة الله سبحانه وطاعة رسول الله e

قال تعالى: [illegible][6].

---

(١) سورة القمر:٣.

(٢) شجنة: الشّجَنةُ والشَّجنةُ عروق الشجر المشتبكة وبيني وبينه شِجنَةُ رَحِمٍ أي قرابة. لسان العرب (٢٣٣/١٣) .

(٣) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٨،٧٩.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٥) سورة النساء:١٣٥.

(٦) سورة التغابن: ١٢.

وقال أيضاً: [illegible][1].

فالمحبة هنا هي المحبة الخالصة التي لا تصلح إلا الله تعالى، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة وإيثاره سبحانه على غيره، وهي التي سوى المشركون بين الله تعالى وبين آلهتهم فيها حيث قال تعالى: [illegible][2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

"وقد تذكر المحبة المطلقة لكن تقع فيها الشركة كما قال تعالى: [illegible].

ولهذا كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة، كما أن حب الله أعظم الأنواع المحمودة بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها.

التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها، وعبادة إله آخر من دونه هي أصل الشقاء ورأسه الذي لا يبقى في العذاب إلا أهله[3].

ولاشك أن العبد إذا كان محباً لله جل وعلا فإنه يحرص كل الحرص على دوام طاعته وامتثال أومراه، والابتعاد عن نواهيه، فمن أحب الله أكثر من ذكره بلسانه وبقلبه، وسخر جوارحه في طاعة مولاه، ويكثر من القيام بالعبادات الظاهرة كتلاوة القرآن، وتدبره والعمل بما فيه، قال تعالى: [illegible][4].

وقال: [illegible][5].

---

(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٣) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية /٦٩، أنظر تفسير هذه الآية في تفسير القرآن الكريم للشيخ ابن عثيمين ٢/٢٢٣ دار ابن الجوزي ط الأولى ١٤٢٣هـ.

(٤) سورة البقرة : ١٢١ .

(٥) سورة العنكبوت : ٤٥ .

وقال عز من قائل: [illegible] .[1]

قال ابن القيم -رحمه الله- :

"فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة، وهي تلاوة اللفظ والمعنى، فتلاوة اللفظ جزء مسمى التلاوة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع...

ثم قال "والمقصود التلاوة الحقيقة وهي تلاوة المعنى واتباعه تصديقاً بخبره وائتماراً بأمره وانتهاء بنهيه، وائتماما به حيث ما قادك انقدت معه فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه، وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ وأهلها هم أهل القرآن، الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقاً" [2].

وقد كان للسلف -رحمهم الله تعالى- عناية واجتهاد في اختيار أفضل الأوقات لقراءة القرآن، فأفضلها آخر الليل في الصلاة أو خارجها، فقد أثنى عز وجل على القائمين آخر الليل بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن والذكر[3].

قال الله تعالى: [illegible] .[4]

وقال تعالى: [illegible] .[5]

وفي الحديث عن أبي هريرة -**t**- أن رسول الله **e** قال:(يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إن هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد، فإذا

---

(١) سورة النمل : ٩١ – ٩٢ .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٤٢) .

(٣) منهج السلف في العناية بالقرآن د.بدر بن ناصر البدر طبع على نفقة الشيخ سليمان العجاجي ط الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ص٥٠.

(٤) سورة آل عمران : ١١٣ .

(٥) سورة الذريات: ١٥-١٨.

استيقظ فذكر الله انحلت عقده فإن توضأ انحلت عقده، فإن صلى انحلت عقده، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) [١].

وكان بعض السلف يقول: كيف ينجو المرء من سوء الحساب، وهو نيام بالليل ويلهو بالنهار[٢].

١٢/العفاف والطهارة من الفواحش والقاذورات[٣]، فإن من أبرز آثار العبودية التراهة من الفواحش.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :

"ولهذا لما كان يوسف u محباً لله تعالى مخلصا له الدين لم يُبتل بذلك بل قال تعالى:

á šú üÅ‚-ÞÜ3Ø8Ø$RŠ$6Ëà ôÐ ¼çR] ä$±é sÿØØr äþ• 9$çZãà $Î€Ç Z Ï 7Ï°‹Ÿ2 â وأما امرأة العزيز فكانت مشركة هي وقومها فلهذا ابتليت بالعشق وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه، وإلا فالقلب المنيب إلى الله تعالى يُصرف عن العشق"[٤].

قال السعدي -رحمه الله- :

"من دخل الإيمان قلبه وكان مخلصاً لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه وصدق إخلاصه، من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه، لقوله تعالى: 7Ï°‹Ÿ2 ¾ïÍ‾ `»dëç#ä§b& ŵ9 $kÍ§ Sdr ¾ïÍ‾ ÓM±d ß)9r â: á ÇŁÍÈ šú üÅ‚-ÞÜ3Ø8Ø$RŠ$6Ëà ôÐ ¼çR] ä$±é sÿØØr äþ• 9$çZãà $Î€Ç Z Ï على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح فإنه من إخلاص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله، أخلصه لله وخلَّصه من السوء والفحشاء[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٣/١) برقم (١٠٩١) ومسلم (٥٣٧/١) برقم (٧٧٤) .

(٢) قيام الليل للشيخ د.محمد العريفي، ٥٤.

(٣) العبودية لعبد العزيز العبد اللطيف٢١.

(٤) مجموع الفتاوى(١٣٥/١٠) .

(٥) تفسير ابن السعدي٤٠٩.

١٣/الإيمان بالقضاء والقدر والصبر عل المصائب

قال تعالى: â $B & ¹ $< >$ `B Ï¸ p6ŠÃ Ï ÞÈ `Bsñ .Ï $ « ‰ ¼ç6Ù ¼ ¡ $ ê (á ÇÈ Ò6ßæ äÓ« [(١)].

قال علقمة _رحمه الله_ : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم"[(٢)].

فكل ما يصيب الإنسان فهو بقضاء الله وقدرته، على وفق السنة الكونية،القائمة على العلم الإلهي، والإرادة المدبرة أي أن كل ما يصيب الإنسان من مصائب ورزايا، ومن خير أو شر فهو بإذن الله تعالى،أي بعلمه وإرادته وتمكينه الوقوع بحسب الحكمة الإلهية، وما على الإنسان إلا العمل بأمر الله واجتناب ما نهى عنه؛ لأن الأمر الإلهي غير الإراده، ومن يصدق بالله، ويعلم أن ما أصابه من مصيبة أو شر أو خير يهد قلبه، للرضا والصبر، والثبات على الإيمان والله واسع العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية[(٣)].

قال ابن القيم-رحمه الله- :

"شهوده توحيد الرب، وانفراده بالخلق، ونفوذ مشيتيه، وجريان قضائه وقدره، يفتح له باب الاستعاذة، ودوام الالتجاء إليه، والافتقار إليه وذلك يعينه من عتبة العبودية، سيطرحه بالباب فقيراً عاجزاً مسكينا لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا"[(٤)].

---

(١) سورة التغابن: ١١.

(٢) تفسير ابن جرير(١٢/١١٦) .

هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، ثقة ثَبْت ، فقيه عابد ، من الثانية مات بعد الستين ، وقيل بعد السبعين . التقريب (٣٩٧) .

(٣) التفسير الوسيط (٣/٢٦٧٤-٢٦٧٣) .

(٤) طريق الهجرتين٢٨١.

البعد عن الشهوات والشبهات:

وقد جاء في الحديث الشريف: (حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره)[١] وقد اشتمل هذا البيان النبوي على قاعدة أساسية مرشدة للبصيرة الأخلاقية لدى الإنسان فإذا عُمِّي أمر السلوك الأخلاقي على هذه البصيرة، هل هو إلى جانب الخير، أو إلى جانب الشر استطاعت هذه القاعدة أن تساعد على معرفة الحقيقة فإذا كان السلوك من الشهوات التي تلذها الأنفس كان ذلك مرجحا لجانب المنع على جانب الإباحة؛ لأن النار حفت بالشهوات وإذا كان السلوك من الأمور الثقيلة على الأنفس المكروهة لها؛ لأنه يخالف هوى من أهوائها، أو شهوة من شهواتها، كان ذلك مرجحا لجانب الخير، لأن الجنة حفت بالمكاره[٢].

قال تعالى: ’7 ù ÇÈ p7)è SB 7 1‘Š $Br ÇÈ p7)è Ns F X ù ÇÈ Ó Z9 q Y dr â :

Ç 7 B # $ B # $ ó B “ Ò è) r Ç p ‘ .[٣] á Z J t ¾ 7 í r Ç È H q K f ¹ #q?r f ¹ #q?r f B #ä ‘ B b .

أما الشبهات فالأسلم للإنسان أن يترك ما اشتبه عليه، ويعمل مالا شبهة فيه، وهذا ما أوصى به الرسول r بقوله في الحديث (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدنيه وعرضه)[٤] أي طلب البرء والسلامة من الإثم لدينه ومن العيب لعرضه.

والمشتبهات أمور مشكوك في حلها، مرتاب في حرمتها، والأسلم الأبرأ للإنسان أن يتركها ولا يأتيها، ولذلك قال r في الحديث الآخر. "دع ما يريبك إلى ما يريبك"[٥].

١٤/تذكر الموت وهو دافع قوي لاستشعار مراقبة الله.

إن لتذكر الموت أثراً كبيراً في إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذلتها وتطمع في البقاء المديد في هذه الحياة وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٣٨٠) برقم (٦١٢٢) ومسلم (٤/٢١٧٣) برقم (٢٨٢٢) .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/٨٠ – ٧٩) بتصرف يسير.

(٣) المصدر السابق٨٦.

(٤) أخرجه البخاري (١/١٢٦) برقم (٥٢) ومسلم (٣/١٢٥) برقم (١٥٩٩) .

(٥) أخرجه الترمذي (٤/٦٦٩) برقم (٥١٨) وقال : حديث حسن صحيح .

تقصر في الطاعات، فإذا كان الموت دائماً على بال العبد فإنه يصغر الـــدنيا في عينـــه، ويجعله يسعى في إصلاح نفسه، وتقويم المعوج من أموره(١).

ويجعله يستشعر مراقبة الله، وأنه يراه في كل حين ووقت، فهو سبحانه لا تخفى عليـــه خافية من أمر الخلائق، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة ولا يظلم الناس فتيلا، ولا يقدر أحد منهم على الفرار من الحساب والجزاء، وبهذا يعلم العبد أنه سبحانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلا أتى بها، ولهذا قال سبحانه في وصايا لقمان لابنه: â ƒ Ï_Ó

$kÍ ÑN Ùý ÇÚ öÆ $'Î ‘R& ÑN°q»J¡¡9$# ’Î ‘R& Ú• ÷ | ¹ ’Î ` ä3Fù A Šö z ô`B p¬6m A$)÷WB à7 ? bÎ) $kX)

.(٢)á ÇÎÈ ×Î7 z ì# ‹Ü9 ©!$# bÎ) ª! $

وفي هذه الآية دليل على أن المراقبة دقيقة وعظيمة، وظاهر العبد وباطنه كليهما أمـــام رب العالمين ظاهرين، وإن لم يكونا واضحين أمام المخلوقين(٣).

قال الشيخ الدوسري -رحمه الله- :

"فالعابد لله يراقب الله بمحاسبة نفسه على كل خطرة أو نظرة، وعلـــى كـــل حركـــة وسكون؛ ليصقل قلبه من سواد المعصية فعلا، والتقصير في الطاعة، فلا يلقى الله بقلـــب أسود، فإذا تدنس ثوبه ذكر دنس قلبه، فسعى لتنقيته وتطهيره قبل ثوبه؛ لقوة معرفته أنه محل نظر الله، وإنما كان العابد لله منقيا لقلبه، مترهاً لأحاسيسه؛ ليسلم تفكيره مما سوى الله فتنضبط جوارحه وحركاته وفق حدود الله، فتكسب نفسه الاعتدال والتوازن وكلما اعتراها شيء من نزغات الشياطين أصلحه بمراقبة الله والتوبة النصوح، ليرجـــع إليهـــا توازنها واعتدالها، فلما تفقد مدد الله فإن الإنسان في أشد الحاجة إلى تعهد حياته المعنوية والتنقيب في أرجاء نفسه؛ ليعمل ما يصونها من التفكك والعلل الناشئة من الشرك الذي هو إتباع الهوى أو المعصية التي لا تكون إلا من غفلة أو غيبوبة منهزم عقل(٤).

---

(١) اليوم الآخر القيامة الصغرى عمر بن سليمان الأشقر ص٨١ مكتبة الفلاح الكويت الثانية ١٤٠٨-١٩٨٨م.

(٢) سورة لقمان:١٦.

(٣) لقمان ووصاياه في القرآن الكريم ٤٧٣.

(٤) صفوة الآثاروالفاهيم(١/١٣٧) .

١٥/انتفاء الرياء والعجب والكبر

وعلاج هذه الأمور يكون بصدق التعبد لله عز وجل وإظهار الفاقة، والافتقار اليه سبحانه، فيستعين به ويتوكل عليه، ويرى أن الحمد كله لله، والفضل بيده وحده، وأن لا قدرة ولا حول ولا هداية ولا عافية إلا منه سبحانه، لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يذهب بالسيئات إلا هو سبحانه وتعالى.

وإذا أراد العبد وجه الله عز وجل في جميع أعماله انتفى الرياء من القلب، وإذا أيقن العبد بضعفه وافتقاره لربه سبحانه وأنه ضعيف هالك إن لم يعنه ربه ويوفقه، فإن ذلك ينفي العجب ويورث التواضع والإخبات للحق، كما يورث التواضع للخلق، وأنه ليس فضل على نفسه، ولا على أحد وأن الفضل كله لله والخير كله بيده سبحانه فهو المان به وحده[١].

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري -رحمه الله- :

"عبودية الله تستلزم الإخبات له، فالعابد لله يكون مخبتا له، والإخبات الأطمئان فهو النزول بالنفس عن الكبرياء والغطرسة، بأن تُستذل لله وحده وترى فقرها وحاجتها إليه ملازمين لها"[٢].

١٦/الصلاة:

ومن فضائل الصلاة أنها أعظم عبادة يحصل فيها الخضوع والذل لله وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه؛ وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه، ولا يمكن تغذيته بمثل الصلاة، والصلاة أعظم غذاء وسقي لشجرة الإيمان، فالصلاة تثبت الإيمان وتنمي ما يثمره الإيمان من فعل الخير والرغبة فيه، وكذلك تنهى عن الشر[٣] قال تعالى: â rï¿½ï¿½é

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم (٢/٣٨٤) .

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم (١/١٣٨) .

(٣) الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في القصائد والفنون المتنوعة الفاخرة لعبد الرحمن السعدي ص١٥، دار الجيل بيروت ط ١٤١٢،١هـ ١٩٩٢م.

$B Ð-è ƒ ª ! $ r ž ç 9 ò 2 & « ‹ ! $ ê ø ¾ ! r ÷ 3 Z Ò ¸ ¸ ä ± $ ó ÿ ¸ ¸ $ Ç Æ E ã 4 S Ž ? o ¬ = Ó Á 9 $ ž c Î o ¬ = Ó Á 9 $

.(١) á bqã Ÿ Ó Á ?

فأخبر أن فيها الغذاء بذكر الله والشفاء بنهيها عن الفحشاء والمنكر، وأي شيء أعظم من هذا وأجل وأكمل(٢).

كما أن فيها تكفيراً للسيئات والذنوب، قال تعالى: ` B $ Z 9 ã r í $] 9 $ Ç Ô • Û o ¬ = Ó Á 9 $ É Ï ¾ r â :

.(٣) á Ç ÍÈ š ú ï Ì ° @ # 9 3 • ø Ë 7 9 Œ Ì N $ « ñ ¡ 9 $ û ¨ Ù ã M » Z ¡ t ø $ b Î @ ¸ ¸ $

كما أن فيها بعداً للعبد عن المعاصي، ولهذا جاء في الحديث قوله r : (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله)(٤).

قال تعالى: 4 S Ž ? o ¬ = Ó Á 9 $ ž c Î o ¬ = Ó Á 9 $ É Ï ¾ r É » G Å ¸ ¸ š Æ Ë 7 ø Î Ó Ç r é $ B @ ¸ ¸ â

.(٥) á Ç Í È bqã Ÿ Ó Á ? $B Ð-è ƒ ª ! $ r ž ç 9 ò 2 & « ‹ ! $ ê ø ¾ ! r ÷ 3 Z Ò ¸ ¸ ä ± $ ó ÿ ¸ ¸ $ Ç Æ E ã

قال القرطبي:

"فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه، وأدكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه، وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله"(٦).

١٧/إن حياة المؤمن لا تستقيم ولا تصلح ولا تستقر إلا على أساس الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، وأنه هو وحده المالك لهذا الكون المتصرف فيه، ثم العبودية الكاملة

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) الرياض الناظرة: ١٥.

(٣) سورة هود: ١١٤.

(٤) أخرجه مسلم (١/٢٠٥) برقم (٢٢٧).

(٥) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٦) تفسير القرطبي (٧/٣٤٨).

لهذا الإله الواحد؛ لأن هذا الكون وهذه الأرض حينما يحكمها غير الله فلا تسأل عن حال الناس فيها، وما يعيشونه من ظلم وبغي وعدوان وخداع، وغش وسرقة وحقد، وحسد، وإشاعة الربا، والزنا، والشرك بالله، وكفران النعم، وإشاعة الفجور في كل مكان.

بخلاف ما إذا عاش المسلم في دنياه وعمل لآخرته بمنهج القيام بتوحيد الله وأنه هو وحده المستحق للعبودية، فسينشأ العبد على التوبة والاستغفار، وتقوى الله وشكره على نعمائه الظاهرة والباطنة.

وستهذبه نفسه؛ ليكون طريقا للبعد عن المعاصي والآثام، وقبل هذا البعد عن البدع ومضلات الفتن، وسيصبح العبد داعية إلى الله بالحق ويصرخ في وجه الباطل ويسعى في إضمحلاله.

١٨/عبودية الصيام فهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذ ذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، أما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل العبودية فهو أمر لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصوم(١).

كما أن العبد إذا صام كان صيامه لسائر جوارحه، فتصوم عن المحرمات فلا يستعملها إلا في طاعة الله، كذلك يصوم لسانه عن القيل والقال وكثرة الكلام فيما لا طائل تحته، كذلك يصوم قلبه فيحفظه من كل ما يدنسه من أحقاد وضغائن.

١٩/الحج له أثر في حياة الفرد ففيه تدريب للمؤمن على ركوب المشقة وترك الترفه والتضحية بالراحة والدعة طلباً لمرضاة الله، إذ قد يرحل المسلم في تلك البقاع التي تميزت بشدة أجوائها فليست محل اصطياف ولا نزهة وفي ذلك تربية للمسلم على احتمال الشدائد والصبر على المكاره(٢).

---

(١) بناء الروح لعلي بن محمد الدهامي: ٩٠دار القاسم.

(٢) العبادة في الإسلام: ٣٠٣.

فهو في أيام الحج يعيش جواً إيمانياً حيوياً، كيف لا وهو جعل كل دقائق أيامه هذه عامرة بطاعة الله وطلب رضاه؟ بل ويعيش منكسراً ذليلاً وخاشعاً باكياً منيباً تائباً، يطلب المغفرة من ربه، ويرجو ثوابه ويخاف عقابه، حتى يخرج من هذه الرحلة وقد رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

"وكلما كان حجه مبروراً خالصاً لله كان أثره في حياته المستقبلية يقيناً لا ريب فيه، فإن هذه الشحنة الروحية العاطفية، تهز كيانه المعنوي هزاً بل تنشئه خلق آخر وتعيده كأنما هو مولود جديد يستقبل الحياة وكله طهر ونقاء[1]، ومن هنا قال الرسول r (من حج فلم يرفث و لم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) [2].

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) أخرجه البخاري (٢/٥٥٤) برقم (١٤٤٩) ومسلم (٢/٩٨٣) برقم (١٣٥٠) .

المبحث الثاني

أثر العبودية في حياة المجتمع

المبحث الثاني

أثر العبودية في حياة المجتمع

إن صلاح الفرد في نفسه وحاله سبيل وطريق موصل لصلاح مجتمعه فصلاحه شيء وحرصه وبذل جهده لصلاح أمته شي آخر وإن كان كل منهما جزء لا يتجزأ عن الآخر فبصلاح الأفراد تصلح المجتمعات، ولكن هذا منوط بصلاح حال الفرد، وبذل ما في وسعه لنفع الأمة ونشر الخير فيها.

فالخلق كلهم خلقوا لهدف واحد، وغاية واحدة، ألا وهي عبودية الخالق تبارك وتعالى وحده لا شريك له، ولا ريب أن هذه العبودية تترك آثاراً على الأفراد والمجتمعات، فمن أبرز تلك الآثار:

١/ أن أقوى آصرة تلتقي عليها القلوب، وتتماسك بها الأمة، هي آصرة التوحيد والعقيدة الصحيحة، فبتحقيق عبودية الله تنجو الأمة جماعة ووحدانا من الجهل المركب المؤدي بصاحبه إلى كل شر وضلال وهوان[١].

٢/ أن القرآن الكريم جاء به أعظم نبي محمد r فهذب به سلوك الأفراد والجماعات .

فالقيام بحق القرآن يوجب العمل على بناء مجتمع إنساني على أساس دين الله ونظمه، وفق الدستور الذي شرعه في سورة الحجرات خاصة وغيرها مما أوحاه إلى نبيه عامة، ليكفل للإنسانية حقوقها، ولا يلعب بمقدراتها وعقولها، إذ من لم يعمل للإنسانية على أساس ما أنزل إليه من ربه، فهو مفترٍ يلعب عليها حتى يسخرها كأنعام، أو يمزق وحدتها ويغويها على التناحر .

وقد ذكر مصطفى صادق الرافعي[٢] واقع أخلاق العرب قبل هذا القرآن وبعده وما له من أثر في توجيه سلوكهم فقال:

"كان من أخلاق العرب ما هو مشهور عنهم من التفاخر بالآباء والأجداد والذهاب مع الوهم، في كل مذهب وعدم المبالاة، إلا بما يلحقهم بآبائهم، ويجعلهم في عداد الماضين ليكون لهم فيمن يخالفهم من الشأن والتقديس والتعظُّم بهم ما كان فيهم لمن تقدمهم،

---

(١) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم (٦٧/١) بتصرف يسير.

(٢) مصطفى صادق الرافعي ، ولد في مصر سنة ١٢٩٨هـ كان أديب زمانه شاعراً وناثراً وبليغاً ، دافع بقلمه عن القرآن ولغة القرآن ، له مؤلفات كثيرة . توفي سنة ١٣٥٦هـ .

فيتقون سوء القالة، وخبث الأحدوثة، وسائر ما يفسد عليهم هذا الشأن بكل ما وسعهم، لا يألون في ذلك جهداً، ولا يُغْمِضُون فيه، ولا يتقدمون في سد غيره قبل إحكامه، واستفراغ قوتهم له إلى غير ذلك، هذا مما هو معروف متظاهر عنهم، ثم كان هواهم كله في الشعر؛ لأنه عبادة أرواحهم لطبيعة أرضهم، وهو الصلة المحفوظة بينهم وبين ماضيهم فجاء القرآن يسفّه تلك الطباع منهم، ويحول بينهم وبين ذلك الماضي ويصرفهم إلى العمل، ويُذهب عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ويأتيهم بالبصائر من ربهم ويهديهم بالعقل إلى أسرار الطبيعة ليعلموا أنها مسخرة لهم فلا يسخرون أنفسهم لها، وحرّم عليهم التقديس وما في حكمه وبصّرهم بما مسَّهم من طائف الشيطان وما نزعهم من أمره، خيالاً أو وهماً أو شعراً أو عبادة، وجعل أفضل الفضائل في الذي قام يدعو وهو النبي ﷺ أنه ابن يومه وابن عقله فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر وتلك أخص فضائلهم الاصطلاحية، وخاطبه بهذه الآية الكريمة التي هي روح الثبات في أمم العلم والعمل، وهي قوله ﴿ . [1].

وقد خاطب الله نبيه عن شأن هذا القرآن وبين له أن فيه حياة للقلوب ونور للصدور فقال: ﴿ ﴾ [2] حقاً لقد كان هذا القرآن كتاب هداية وإرشاد وتقويم سلوك، ألا تسمع إلى قوله تعالى ﴿ ﴾ [3].

كما جاء لشفاء النفوس من مضلات الفتن، وزيغ الشبهات الشهوات، قال تعالى: ﴿ ﴾.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ١٤٣، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط الأولى ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) سورة الإسراء: ٩.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله - :

"القرآن شفاء لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب فيما ينفعه، ويرغب عما يضره فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي بعد أن كان مريداً للغي مبغضاً للرشاد"(١).

٣/ إشاعة العدل في الأمة.

قال تعالى: Pqà‹Ï šc #"•Ü =»GÅ DGèB $ZØR& ÏM»ZÉ $Y-Ï â $Zù™Ö ß)9 â

وقال أيضاً:(٢) 4† 1ëÅ " ÏÇ $Gƒ)r Ç» ¡ ôMÝ Ëß èÃ ÕÈ ê$b)â áÃÝ ó Ëß â $Y9$

.(٣) á ÇÈ šc rèÇ ? Ñà6 =è9 Ñ3 ÝÈ ƒ Ðø7 ì 6 Ý Ä ä$±ó ÿ ÇÃ 4 SZƒr

وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر(٤).

قال ابن جرير – رحمه الله -:

إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله وتولي الحمد أهله، وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها، كان جهلاً بنا حمدها وعبادتها وهي لا تنعِم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له(٥).

والعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة، بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٩٥) .

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) تفسير ابن جرير (٧/٦٣٥) .

(٥) تفسير ابن جرير (٧/٦٣٤) .

والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات، أن تعاملهم في عقود البيع والشراء، وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقا، ولا تغشهم ولا تخدعهم ولا تظلمهم، فالعدل واجب والإحسان فضيلة مستحبة، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم وغير ذلك من أنواع النفع، حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره[1]. قال تعالى: â ∑»¹9ãrèÛ&r $ZèÛ&r $ZèÜ™ ¢qèàf

b& #?ã ÐÇ¢ ãÃ$«¥© Nà6 ZBè¬ðf ƒ

.[2]á ¢qèÀ‰è?

وقال أيضاً â ∑»¹9ãrèÛ&r $ZèÛ&r $ZèÜ™ ¢qèàf šú ï¾Ï©$KKS» â

.[3]á 3ª qèÀ‰è? ×v& #?ã ÐÇ¢ ãÃ$«¥© Nà6 ZBè¬ðf ƒ

٤/ الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه لا ريب أن المجتمع الذي يسعى لمرضاة ربه ويقوم بالعبودية الصادقة لله عز وجل يجب عليه أن يحكم حكم الله وشرعه ويكره ما يضاده[4].

قال تعالى: â ∑»¹9ãrèÛ&r $ZèÛ&r $ZèÜ™ ¢qèàf

b& NGY•/ /ãó<ï ¾ïÎqß‘r «‹$ ’Î ¢qãß #Œ) ûïÏBs3Ø$Aq¾ b¾. $JR) â

.[5]á brãŸýØ$Nè 7Í»9rêu ïèC¢f r

---

(١) تفسير السعدي، ٤٤٧.

(٢) النساء: ١٣٥.

(٣) المائدة: ٨.

(٤) انظر وفقات تربوية في ضوء القرآن (٣٦٨/٢).

(٥) سورة النور: ٥١، ٥٢.

وقال سبحانه أيضاً:

.[١]

كما ينبغي على الأمة عدم التحايل على أوامر الله كما حصل من أصحاب السبت

يقول تعالى في شأن ذلك

.[٢]

كما ينبغي القيام بالحدود، كحد السرقة، وشرب الخمر، وقذف الزناه وغيرها.

قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري – رحمه الله - .

"من ألزم وأعظم أنواع العبودية أخذ القرآن بقوة، وذلك بالعمل بما فيه وإقامة حدوده، دون الاقتصار على إقامة حروفه، كما هي الحال عليه في هذا الزمان وألا يُسْطى على نصوصه بالتأويل أو التحريف"[٣].

وقال أيضاً:

"إقامة الحدود والحكم بما أنزل الله من لوازم عبوديته سبحانه، وهما من صميم العقيدة؛ لأن من عطل حدود الله إذ لم يحكم بشريعته فقد ابتغى غير الله حكماً[٤] قال تعالى:

.[٥]

.[٦]

.[٧]

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٣.

(٣) صفوة المفاهيم والآثار (١/٥٥) .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٥) سورة المائدة: ٤٤.

(٦) سورة المائدة: ٤٥.

(٧) سورة المائدة: ٤٧.

٥/ اجتماع الأمة ووحدتها:

مجتمع العقيدة مجتمع قوي متماسك يشد أفراده على أيدي بعضهم، كأنهم بنيان مرصوص، آمالهم وآلامهم واحدة ؛ لأنها نابعة من عقيدتهم، وكلهم يسعون لتحقيق العدل والمحبة والأخوة؛ ليعيش كل فرد في هذا المجتمع آمناً على دينه وروحه وعقله وماله وعرضه(١).

٦/ الرقي في الحياة البشرية ونهوضها.

فالتوحيد سبب لرقي الأمة ؛ لأنه ينفي عن المجتمع المساوئ الكثيرة للشرك؛ ولإنه يهيئ الأذهان لرفض الأوهام والخرافات والأساطير، التي تفتك بالمجتمع وتهدم كيانه وتضعفه وتجعله في اضطراب مستمر، وتقف حاجزاً دون رقيه وازدهاره، ولا تخفى الحاجة للتوحيد في سائر أوضاع الحياة البشرية، والدينية، والاقتصادية، والسياسية، والزراعية، والاجتماعية وغير ذلك(٢).

٧/ إشاعة الأمن والاستقرار في بلاد الإسلام ، يقول تعالى: (ﭐلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)(٣).

وقال أيضاً: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(٤).

فعبوديته سبحانه تحقق لأهلها الأمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ لأن جميع حركاتهم وسكناتهم منوطة بمراقبة رب العالمين، والوقوف عند حدوده بإعطاء كل ذي حق حقه دون غش ولا بخس ولا مماطلة؛ وذلك باتباع ما رسمه الله ورسوله من العدل والإحسان

---

(١) عقيدة التوحيد: ٤٧.

(٢) عقيدة التوحيد: ١٣١.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

(٤) سورة النحل: ١١٢.

والصدق والوفاء والاحترام المتبادل[١] حيث قال تعالى: ﴿ ﴾[٢] وقال: ﴿ ﴾[٣] وقال: ﴿ ﴾[٤].

قلت: ومن تأمل أحوال من ابتعدوا عن نور القرآن والإيمان في تلك الدول التي عمها الفجور والطغيان، وصار ميدان الحضارة والتقدم هو شغلها الشاغل، وهو هدفها الأسمى الذي تسعى إليه، مع النظرة المادية للحياة ، لرأى عجب العجاب فهم على ما وصلوا إليه من تطور وتقدم، ومع غناهم وتحقق آمالهم الدنيوية، إلا أنهم يتمنون نعمة الأمن في النفس والمجتمعات، ولكن هذه الأمنية تحول بينهم وبين رغباتهم؛ لأنهم انزاحوا بأنفسهم وبمجتمعاتهم عن منهج الهدي الرباني والنور القرآني.

٨/ السعي إلى تخميد نار الفتنة بين المسلمين، فبمجرد ما يبث المنافقون وقالة السوء كيدهم وفتنتهم للمسلمين ، إلا أن دعاة الحق يقفون في وجوههم لسد تلك الهجمات التي تريد إضلال الإسلام والمسلمين كما كان من ابن أبي لما اختصم مهاجر وأنصاري فتداعوا فثارت ثائرة ابن أبي ، واستغل الأمر ليفرق بين المؤمنين ، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله r فقال: "ما بال دعوى جاهلية" قالوا يا رسول الله، كسع [٥] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: "دعوها فإنها منتنة" فسمع بذلك عبد الله بن أبي ، فقال: فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)[٦].

٩/ سلامة سلوك المجتمع والبعد عن المعاصي والفواحش وحسن الخلق.

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم (١/١٠٧) .

(٢) سورة البقرة: ١٩٥.

(٣) سورة المائدة: ٨٧.

(٤) سورة الشعراء: ١٨٣.

(٥) كسع الكسع الضرب باليد لسان العرب (٨/٣٠٩) .

(٦) أخرجه البخاري (٤/١٨٦٢) برقم (٤٦٢٢) ومسلم (٤/١٩٩٩) برقم (٢٥٨٤) .

إن من يعقد مقارنة بين مجتمع يقوم على العقيدة الإسلامية ، ويسعى لتطبيقهــا علــى أرض مجتمعه ، ومجتمع تأثر بالأفكار الهدامة والمذاهب المعاصرة، ليرى البون شاســعاً بينهما لاسيما إذا نظر بميزان الحق ، وكم ذكر القرآن أحوال من جعل حياته ومجتمعــه يعم بالفساد والفوضى بيَّن عقوباتهم ونهاياتهم التي باءت بالخسران في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: â ŧïr •š$ø%ŠÏ• "# &d=Ÿ3»Y ÿ$Ü9 ß¢qè{ r_ èŧZ$ ϑJqϑÎ̂ Nŧ%Bqä ËÎ ÇÎÈ á(١).

وقال عز سلطانه: â &r9Ô ƒ‰ôγ‰ ƒ`Ï% ϑè{ ös$$šc ŧöF Ú B`. /è‰ ‰'ìÎg$ ©b'ÏϑÏ ±$ä

&1ϑçZ Nγä̂ Îq'ÏΡ Ϊ7ß ã?4 'ÏèÎγ Îϑ… Nγδ ùœ_ ÷ρ „ϑó qJãq cš ËÈ ÇÊ á(٢).

وقال تعالى: â ùä3 x^ &{ õ$R ρÎ7 ‹/ ÎRÏξ ùΡ Ϊ/ Nγ÷Ψϑ ÏΒ ô B$Zt™Ï% ϑn ‹ã =¹ ym $¹ Nγ÷Ψϑ r& ôB{ &x ÿ‰çn

9 Á‹ ys…è Nγ÷Ψϑ r& ô B Æ‰ z ¡;ø$ 'Î/ Îμ$Ξ{ ŧö ß š ρ r& ô B$Ÿ2 ã¡Ö øΨt/ Nγ÷Ψϑ ÏΒ ô B$Ÿ2 $ šc $! ª

Ϊ9è‹ õ=Îϑ¡ Nγßγ9 ‹r ÏΒ $Ÿ2 θ(¢ 'q ¡ Ÿ% Ïϑè{ θã qßϑ ßšc ËÍ ÇÍÈ á(٣).

١٠/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى.

قال تعالى: â ρ9ø3 ä` Β ΒÏ3Νö 'é&ΒΒπ× ƒ‰ ôãŠθβ tβ <'n ’ ‘$#ø:ƒø Ύö ρΖƒù'ΒãÍρβ #$!9 ÉΒΑ÷èuρ Îρ ãΞΥ ƒ÷Ùtλν öρΒ Ç8 ρ

γδ 9'¨Β#ÏΖ ç3ρΝäσ ƒù=Î?ßqβ ËÍÈ ÇÊ á(٤).

وقال سبحانه: â ΖÛçΝö z yö ué &Ββ ‰é>è Mô _ Ï9=¹ ¨$ Ä ?ù'ΒãΒρβ 'Î/$9ø ΒèöΒρ ß ρ ?sΖö3γθβ tβ ã`

#$9ø ΖΒÏ3t ŧ ρ? è÷ΒãΒρβ 'Î/$!« á(٥).

أوجب الله على عباده المؤمنين أن يكون فيهم طائفة تصد أهل الضلال عن غيهم.

ففي قوله â ρ9ø3 ä` Β ΒÏ3Νö 'é&ΒΒπ× ƒ‰ ôãŠθβ tβ <'n ’ ‘$#ø:ƒø Ύö ρΖƒù'ΒãÍρβ #$!9 ÉΒΑ÷èuρ Îρ ãΞΥ ƒ÷Ùtλν öρΒ Ç8 ρ

γδ 9'¨Β#ÏΖ ç3ρΝäσ ƒù=Î?ßqβ ËÍÈ ÇÊ á(٦) .

---

(١) سورة الكهف: ٥٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٠.

(٣) العنكبوت: ٤٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٥) سورة آل عمران: ١١٠.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٤.

المقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه[١].

ووصفهم الله في ختام الآية بالفلاح [٢] أي الكاملون في الفلاح[٣].

وهم من أفضل فئات المجتمع ؛ لأنهم قاموا بالمسؤولية الشاقة المنوطة بشيء من المصاعب والمتاعب.

لذلك لما وصى لقمان ابنه بهذه الوصية ربطها بالصبر؛ لأن القيام بها يحتاج إلى صبر ومصابرة، فقد يواجه المرء صعوبات ، ونفور من الغير ولذا قال تعالى

.

ولا ريب أن هذه هي وظيفة الأنبياء والمرسلين ، والعباد الصالحين؛ ولهذا أمر الله الرسل – وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – بالصبر كقوله لخاتم الرسل، بل ذلك مقروناً بتبليغ الرسالة فإنه أول ما أنزلت عليه سورة

بعد أن أنزلت عليه سورة (أقرأ) التي بها نبئ فقال:

[٤] فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر"[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير(١/٥٠٨) .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) تفسير روح المعاني(٣/٣٢) .

(٤) سورة المدثر، ١ – ٧.

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١٦، ١٧، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤١٢هـ.

"فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، العلم قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال"[١].

ولذا أقسم سبحانه بالعصر، وبين في الآيات أن كل إنسان خاسر إلا من تواصى بالحق والصبر قال تعالى: [٢]

قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري – رحمه الله - .

"روح العبودية التواصي بالحق والتواصي بالصبر ومن مقتضياتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع المفتري ، فمن تخلى عن ذلك و لم يفعل قدر المستطاع فقد أخل بعبودية رب العالمين [٣].

ويكون بأسلوب دعوي مؤثر بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى: [٤] .

قال الزمخشري: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة، ولا تعنيف[٥]، ولذا قال سبحانه وتعالى لنبيه محمد [٦].

أما الجهاد في سبيل الله فمقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون الدين كله لله، فمقصوده إقامة دين الله لا استيفاء الرجل حظه[٧] قال سبحانه وتعالى [٨].

---

(١) المرجع السابق، ص١٧.

(٢) سورة العصر، ١، ٣.

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم (٥٦/١) .

(٤) سورة النحل: ١٢٥.

(٥) الكشاف: ٥٨٨.

(٦) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٧) مجموع الفتاوى (١٧٠/١٥) .

(٨) سورة البقرة: ١٩٣.

كما أن في الجهاد تربية للجماعة المؤمنة على ما تواجه من مصاعب الحياة ومشاقها ، فهو مكروه للنفوس؛ لما فيه من التعب والمشقة وحصول أنواع المخاوف ، والتعرض للمتالف، ومع هذا فهو خير محض لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم ، والنصر على الأعداء ، والظفر بالغنائم ، وغير ذلك مما هو مرب على ما فيه من الكراهة[١] .

قال سبحانه وتعالى: $\øœ© (qßÅÊeb&é¤ãr Nà6 Œžöz qèdr $\øœ© (qè•ƒ? b&é¤ãr â

á NàŒŽØ qèdr[٢] كما أن في الجهاد كشفاً عن خبايا النفوس ، وما تكنه القلوب ففيه تمييز للطيب من الخبيث حتى يتضح البون الشاسع بينهما.

قال تعالى: Oûüï%©!$# qßÎ (rßû» f ãb& ÌÅ¡y $YÜö<øŠt «!$# šc qßÜßsãûüï%©!$• ¨ÇÉÐÒ „ Ÿw â

Üö<øŠt «!$# šc qßÜßsãŸw ûüï%©!$• ¨ÇÉÐÒ „ $JŠÎ) ÇÍÍÈ ûüÉ=ßϑø9 ÔŠÎæ ª!$# NÍÅ¡y&R&r

á ÇÍÍÈ šc rßŠŽIƒ Oûüî“ ’Îû Oßùu ÖßÇqèèM/$?Ö$# ÌÅ¡y$

.[٣]

يقول الرازي: والمقصود من هذا الكلام تمييز المؤمنين عن المنافقين، فإن المؤمنين متى أمروا بالخروج إلى الجهاد تبادروا إليه ولم يتوقفوا، والمنافقون يأتون بالعلل والأعذار[٤]

قال تعالى: `Ï (räÏ, Gƒ Ó9r NàZÏ (rß»_ ûüï%©!$ ¨ÄÈ=èƒ $£9r (qäŽÏèb& Ó§ÇÅm Q& â

á ÇïÍÈ šc qèJè? $JÎ7•Îz ª!$# Ÿf ‹Ïr ûüÏÏBs3Ïèø9Ÿwr ¾ÍÎqß“ Ÿwr «!$# ÈÏrß

.[٥]

قال ابن كثير – رحمه الله - عن هذه الآية: لما شرع لعباده الجهاد، بين لهم أن له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه وممن يعصيه[٦].

---

(١) تفسير السعدي: ٩٧.

(٢) سورة البقرة: ٢١٦.

(٣) سورة التوبة: ٤٤، ٤٥.

(٤) تفسير الرازي(١٦/٦١) .

(٥) سورة التوبة: ١٦.

(٦) تفسير ابن كثير(٢/٤٤٧) .

قال الله سبحانه وتعالى: [illegible][1].

وقال أيضاً: [illegible][2].

١١/ أفضلية صلاة الجماعة ، وعلوها على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، ولعظم مكانتها فقد همَّ رسول الله r أن يحرق على قوم بيوتهم ؛ لأنهم يتخلفون عن الجماعات ، وما يتخلف عنها إلا منافق"[3] .

فصلاة الجماعة تربية اجتماعية رشيدة ، ومدرسة إنسانية ، عالية على نسق فريد في تاريخ الأديان والعبادات[4].

كما أنها مدرسة للعلم والمعرفة، وتهذيب السلوك والأخلاق وللتشاور بين المسلمين في قضايا الأمة والمجتمع، ومكان لاجتماع المسلمين فتجتمع قلوبهم للتعارف والألفة والمحبة[5].

وهي نموذج تربوي إيماني تجاه الأخطاء والذنوب سواء ما كان متعلقا بالصلاة وغيرها من الأمور، فيحصل من خلالها التناصح بين المسلمين وتوجيههم وإرشادهم لما فيه سموهم ورفعة ذواتهم وفي وقوفهم كلهم صفاً واحداً بين يدي ربهم سواسية ، يستوي في ذلك غنيهم وفقيرهم وأبيضهم وأسودهم، فيه إلماحة خاطفة إلى أن العبودية لله الواحد الأحد الفرد الصمد.

وأنه لا فضل لعربيهم على أعجميهم إلا بتقوى الله تعالى ، قال سبحانه: [illegible][6].

١٢/ أثر إخراج الزكاة من مال الغني وإعطاء الفقير أثر من آثار عبودية الله في حياة المجتمع قال تعالى [illegible][7] .

---

(١) سورة الحج: ٤٠.

(٢) سورة الروم: ٤٧.

(٣) أخرجه مسلم (١/٤٥١) برقم (٦٥١) .

(٤) العبادة في الإسلام: ٢٣٣.

(٥) انظر: العبادة في الإسلام ٢٣٧، ٢٣٨.

(٦) سورة الحجرات: ١٣.

(٧) سورة التوبة: ١٠٣.

أي (تطهرهم) من الذنوب والأخلاق الرذيلة ، (وتزكيهم): أي تنميهم وتزيد في أخلاقهم الحسنة ، وأعمالهم الصالحة ، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي ، وتنمي أموالهم[١].

وينبغي أن يفهم المراد من الزكاة، وهو ثلاثة أشياء: ابتلاء مدعي محبة الله تعالى بإخراج محبوبه ، والتتره عن صفة البخل المهلك ، وشكر نعمة المال[٢].

كما ينبغي له أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه ، حتى يعلم أن في إخراج ماله حقاً لله سبحانه وتعالى بالتعظيم والمحبة ، لمن أسدى عليه هذه النعمة وفيه حق لنفسه فإن الذي يقدمه اليوم يلقاه في يوم العرض على الله يوم القيامة[٣] قال تعالى: â 9 ` ?Y$q($S
m4èZÿ)qa(ËB$ ËB6q c š á[٤].

فإخراج الزكاة نماء للمال ونماء لشخصية الغني وكيانه المعنوي، فالإنسان الذي يسدي الخير، ويضع المعروف، ويبذل من ذات نفسه ويده لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية، وليقوم بحق الله عليه يشعر بامتداد في نفسه وإنشراح واتساع في صدره، ويحس بما يحس به من انتصار في معركة ، وهو فعلاً قد انتصر على ضعفه ، وأثرته وشيطان شحه وهواه ، فهذا هو النمو النفسي والزكاة المعنوية...

كما أن فيه نماء لشخصية الفقير، حيث يحس أنه ليس ضائعاً في المجتمع ، ولا متروكا لضعفه وفقره ، فمجتمعه يعمل على إقالة عثرته ويحمل عنه أثقاله ويمد له يد المعونة بكل ما يستطيع[٥].

١٣/ في الحج تحقيق لمبدأ المساواة في أحلى صورة وأتمها ، لا سيما في وقوفهم جميعا في تلك المواقف، وأداء مناسك الحج لعموم الخلق فليست عبادة الغني مختلفة عن عبادة الفقير فكلهم سواسية بلباس واحد، وفي مكان واحد، ويطوفون بالبيت جميعا، فلا نفرق بين

(١) تفسير السعدي: ٣٥٠.

(٢) مختصر منهاج القاصدين: ٣٧.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٣٨.

(٤) سورة آل عمران: ٩٢.

(٥) العبادة في الإسلام: ٢٧٤، ٢٧٥ بتصرف يسير.

من يملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك قوت يومه ، ويقفون في عرفات ألوفاً ألوفاً فلا تحس بفقر فقير ولا غنى غني[١].

وفي الحج نرى معنى الوحدة جلياً كالشمس وحدة في المشاعر، ووحدة في الشعائر، وحدة في الهدف، ووحدة في العمل، ووحدة في القول ولا إقليمية ، ولا عنصرية ، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة إنما هم جميعاً مسلمون برب واحد يؤمنون ، وببيت واحد يطوفون، ولكتاب واحد يقرؤون ، ولرسول واحد يتبعون، ولأعمال واحدة يؤدون، فأي وحدة أعمق من هذه وأبعد غوراً[٢].

كما أن في اجتماع المسلمين في هذا المكان مجالاً خصباً للدعوة إلى الله، وإرشاداً الناس وتوجيههم ووعظهم وتذكيرهم ؛ لأن قلوبهم جاءت منقادة لعبودية خالقها فكان لزاماً على أهل الخير والصلاح أن يبذلوا ما في وسعهم لدعوة غيرهم إلى عبودية الله في أشرف الأماكن كما أن في الحج كثيراً من المنافع ألمح إليها تعالى بقوله: â (rßgêŠÏ [illegible] ãNßgè=Ïÿxœuqèd ÏM»ysÎ=»¢Á9$# ÏM»tƒÏ‰»¢Á9$# ÏNºuŽÅÀ ÏiÏ»YB[٣].

قال الشيخ محمود شلتوت عن هذه الآية:

"والمنافع التي جعل الحج سبيلا لشهودها والحصول عليها وهي أول ما ذكر في حكمة الحج عامة مطلقة ، لم تقيد بنوع دون نوع ، ولا ناحية دون ناحية ، وهي بعمومها وإطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة، ويصلح شأنهما فطهارة النفس والتقرب إلى الله منفعة والتشاور في رسم خطط العلم والثقافة، وفي جمع الكلمة على تركيز الدعوة والعمل على إظهار الإسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة منفعة وإعداد العدة لنسج خيوط الشخصية الإسلامية ثوباً واحداً منفعة وأي منفعة ، وامتلاء القلوب بمبدأ المحافظة على تلك الشخصية في التحلل والذوبان منفعة ، وهكذا تتعدد المنافع وتتنوع على حسب مقتضيات الأحوال التي توحي بها الأزمنة ومواقف الناس من الناس"[٤].

---

(١) انظر: العبادة في الإسلام: ٣٠٥.

(٢) المرجع السابق: ٣٠٦.

(٣) سورة الحج: ٢٨.

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة، ١٣١، ١٣٢، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ١٣٩٥هـ.

١٤/ الصلح بين المسلمين أثر من آثار عبودية الله في حياة المجتمع ، وقد وردت آيات كثيرة تدل على أهمية الصلح بين المسلمين لما له من ثمرات عظيمة تترك أثرها على حياتهم.

قال تعالى: â ùr @$#(qà?$# ûÍ/ #(qßsÎ=ô 'ù â[1].

وقال سبحانه: â ùr @$#(qà?$# ûÍ/ #(qßsÎ=ô 'ù â[2].

وقال عز شأنه: â ùr @$#(qà?$# ûÍ/ #(qßsÎ=ô 'ù â. وفي سورة الأنفال قال عز شأنه: â ùr @$#(qà?$# ûÍ/ #(qßsÎ=ô 'ù â[3].

â[4].

هذه الأمور الثلاثة: تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وإطاعة أوامر الله ورسوله يتوقف عليها صلاح الجماعة الإسلامية، (â) أي مصدقين كلام الله وكـــاملي الإيمان، فإن التصديق يقتضي الامتثال وكمال الإيمان يوجب هذه الخصال الثلاث[5].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: â ùr @$#(qà?$# ûÍ/ #(qßsÎ=ô 'ù â قال: "إذا حصلت الرحمة حصل خـــير الـــدنيا والآخرة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة".

والمتأمل لواقع المسلمين اليوم يرى ما بينهم من خلاف وتشاحن وصل في مرات عديدة إلى الاقتتال بينهم، لذا ينبغي لأهل الخير والصلاح أن يندبوا أنفسهم للصلح بين الناس؛ لأنه من أسباب عدم التنازع والبعد عن الخلاف[6].

قال تعالى: â ùr @$#(qà?$# ûÍ/ #(qßsÎ=ô 'ù â[7].

---

(١) سورة الأنفال: ١.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) سورة النساء: ٣٥.

(٤) الأنفال: ١.

(٥) التفسير الوسيط، لوهبه الزحيلي (٧٧٣/١) .

(٦) تفسير السعدي:٨٠١.

(٧) سورة الحجرات: دراسة تحليلية موضوعية، ناصر بن سليمان العمر، ٣١٥، ٣١٦، دار الوطن ط٢، ١٤١٤هـــ.

ولذا فعلى المصلح أن يكون حذراً منصفاً بعيداً عن الهوى، ونزغات الشيطان والدعاة أحوج الأمة إلى أن يصطلحوا فيما بينهم، ويوحدوا كلمتهم فإن ذلك من لوازم دعوتهم ومقتضيات منهجهم، قبل أن يدعوا غيرهم لما هم عنه بعيدون[١].

فبالصلح تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم، وتقوي الروابط الإيمانية بينهم، وتزال الفتن التي تقع بينهم من خلافات وخصومات، ويعم الأمن والاستقرار في البلاد[٢].

١٥/ قيام المسلمين بالحقوق الست التي دعا إليها المصطفى r أثر من آثار العبودية في حياة المجتمع.

ثبت عن النبي r أنه قال: (حق المسلم خمس رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس) [٣] وفي رواية لمسلم: (حق المسلم ست، وإذا استنصحك فانصح له) [٤] فقيام المسلمين بهذه الحقوق العظيمة سبب الألفة، والمحبة والاحترام، والتقدير كما أن فيها استجابة لأمر الله ورسوله، فهم بهذا المنهج سلكوا هدي النبي r الذي دل على أنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ومن ضمن شعورهم بالجسد الواحد قيام بعضهم بقضاء حوائج البعض الآخر قال r : (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) [٥].

وقوله r (لئن أمشي في حاجة أخي حتى أثبتها أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً)[٦].

وهذا يشعر المسلمين بنمو الأخوة وتقويتها ويسود المجتمع المحبة والألفة والسعادة فيما بينهم.

---

(١) سورة الحجرات: ٩.

(٢) انظر سورة الحجرت، دراسة تحليلية موضوعية: ٣٠٥.

(٣) أخرجه البخاري (١/٤١٨) برقم (١١٨٢) ومسلم (٤/١٧٠٣) برقم (٢١٦٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٤/١٧٠٥) برقم (٢١٦٢).

(٥) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٧) برقم (٢٥٨٠) .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٣٠٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه ابن عساكر في التاريخ كما في مختصره ص(٢٣٤٠) وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٣/٢٢٨٢) وهو في تاريخ دمشق لاين عساكر (٤١/٢٩٢).